الرابطة

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٧ العدد ٦٥٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م

» فعاليات الرابطة (في مواطن الاحتياج) حول العالم بمناسبة اليوم العالمي للسكري «

» الإساءة للرموز الدينية فعل مخالف للقانون الدولي «

الرابطة وجامعة السلام للأمم المتحدة دشنتا أنموذجا للتعاون الدولي

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٧ العدد ٦٥٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م

صوت الحكمة يعلو

ما إن اتضحت الأبعاد الكاملة للأزمة التي أعقبت حادثة الرسوم المسيئة لرسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، حتى بادرت الحكومة الفرنسية بمخاطبة رابطة العالم الإسلامي (رسمياً)، من خلال اتصال هاتفي تلقاه معالي الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى من وزير الخارجية الفرنسي السيد جان إيف لودريان، ثم استقبل معاليه عضو مجلس النواب الفرنسي السيدة أميليا لاكرافي، كما التقى بسفير بعثة الاتحاد الأوروبي لدى المملكة والخليج باتريك سيمونيت، وتلقى عدداً من الاتصالات من جهات وشخصيات فرنسية وأوروبية متنوعة.

اللقاءات والاتصالات تطرقت للكثير، لكنها ركزت على أمرين: التأكيد على أن لا مشكلة لدى فرنسا مع الإسلام بل تكن له كل الاحترام أولاً، وثانياً التأكيد أن الفرنسيين المسلمين جزء لا يتجزأ من الجمهورية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ.

لا شك أن الخطوات العلاجية الفعالة والسريعة التي اتخذتها رابطة العالم الإسلامي، كان لها أثر كبير في احتواء المشكلة وإيقاف مسارها التصعيدي بالكامل، ولذلك قابلها سريعاً وبشكل قوي هذا التفاعل الإيجابي من الحكومة الفرنسية، التي لجأت لمخاطبة صوت الوعي والحكمة والإنصاف والإدراك العميق المبكر لكل أبعاد المشكلة.

أتى هذا التواصل منسجماً مع هذه الخطوات العلاجية ومستجيباً لها، مدركاً للخير وللأثر الخيِّر الكبير الذي نتج عنها. فمنذ اللحظات الأولى لحادثة الإساءة لرسولنا الكريم صلى اللّه عليه وسلم، أدركت رابطة العالم الإسلامي الأبعاد الكاملة للحادثة، والثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المستفزون النفعيون وتجار الأزمات وأصحاب الأجندات السياسية. كان أكثر ما تخشاه الرابطة هو «خلط الأوراق» والتداعيات التي يمكن أن تنتج إذا ما تركت هذه المساحات مفتوحة لهذا الخلط، والتي سيتضرر منها المسلمون الفرنسيون أنفسهم قبل غيرهم، فبادرت مباشرة إلى إصدار بيان يسد هذه الثغرات ويضع الأمور في سياقها الفعلي:

- أسلوب الاستفزاز هامشي لا قيمة له ولا يجب أن يعطى قيمة بالالتفات له وإعطائه أهمية لا يملكها ولا يستحقها، والأهم أنه لا يمثل إلا أصحابه، ولا يمثل الشعب الفرنسي الصديق والمحب.

- الحرية تخرج عن قيمتها الأخلاقية والدستورية إذا لم تؤطر باحترام الآخرين، وإذا جنحت لإثارة الكراهية والعنصرية وافتعال الصراع.

- أما الإسلام فأقوى من كل المهاترات، ومقام رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أجل وأعظم من أن يطاله متطاول، وهو في الوقت ذاته يرفض الاعتداء ومقابلة الإساءة بالإساءة، كما يرفض المساس بوحدة الأوطان والخروج عن رابطتها الوطنية بأي أسلوب من الأساليب الانعزالية والانفصالية.

بيان شامل واف «خصص المسيء»، وحدد المسؤولية القانونية والشرعية والأخلاقية على الإساءة، وقدم المنهج الإسلامي القويم للاستجابة المطلوبة والمؤثرة والممثلة لأدب الإسلام الرفيع، كما فوّت في الوقت نفسه الفرصة على من يريد التكسب والمزايدة، وحيّد كل ردود الفعل المتسرعة والغاضبة المجردة من الوعي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

ياسر الغامدي

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

المحتويات

الرابطة وجامعة السلام للأمم المتحدة دشنتا أنموذجا للتعاون الدولي 5

الرابطة تشارك في اليوم العالمي للسكري 10

على المسلمين في أوروبا واجب حمايتها 12

العدد: ٦٥٢
جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ - ديسمبر ٢٠٢٠ م

غلاف العدد

49

ابن حزم الأندلسي
عبقرية لم تبدد وهجها الأيام

61

هل يمكن تصنيع
الفيروس ؟

الرابطة تشارك في اليوم العالمي للطفل

جنوب إفريقيا- الرابطة

نظمت رابطة العالم الإسلامي، فعاليات رياضية للأطفال في جنوب افريقيا، في أكبر وأهم ملعب كرة قدم (أستاد موزيس مابيدا) بمناسبة اليوم العالمي للطفل.

واستضاف مكتب الرابطة في جنوب إفريقيا في الفعاليات، أكثر من ٢٠٠ طفل من مناطق مختلفة وضواحٍ نائية، أتيحت لهم فرصة المنافسةً في ألعاب رياضية متنوعة والحصول على جوائز وهدايا قيّمة.

وأعرب السيد زاما زيبيسي ممثل كاي زد ان – أم إي سي للحوكمة التعاونية والشؤون التقليدية عن سعادته بما تقدمه رابطة العالم الإسلامي للأطفال في جنوب إفريقيا، مؤكداً نجاح هذه الفعالية، خصوصاً أن أغلب الأطفال لم يحظوا بفرصة الحضور إلى هذا المكان الجميل من قبل.

وتسعى الرابطة، من خلال هذه الفعاليات لحماية الأطفال وإبعادهم عن العيش أو العمل في الشارع وإبعادهم عن مسببات الانحراف والسلوكيات السلبية وتحفيزهم لممارسة النشاط الرياضي.

في اتصال هاتفي تلقاه أمين الرابطة:

وزير الخارجية الفرنسي يؤكد أن فرنسا تكنُّ الاحترام للإسلام

تلقّى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، اتصالًا هاتفياً من معالي وزير خارجية فرنسا جان ايف لودريان، تناولا فيه مناقشةَ عددٍ من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

وأوضح الوزير لودريان لمعالي أمين عام الرابطة خلال الاتصال، أن فرنسا تكنُّ الاحترامَ للإسلام، وأن المسلمين الفرنسيين هم جزءٌ من الجمهورية الفرنسية.

فيما أكّد الدكتور العيسى، لمعالي الوزير الفرنسي مواقف الرابطة الواضحة والمعلَنةَ للجميع في الموضوعات ذات الصلة.

الجديرُ بالذكر أن رابطة العالم الإسلامي تعتبر الصرحَ الإسلامي الكبير، الذي ينضمُّ تحت لوائه آلافُ العلماء والمفكرين المسلمين وملايين الشعوب الإسلامية من مقرها الرئيس، حيث القبلةُ الجامعة للأمة الإسلامية في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية.

لقاء د.العيسى بالمشاركين.

دشنتا «أنموذجا» للتعاون الدولي

الرابطة وجامعة السلام للأمم المتحدة تطلقان عملا علميا لـ «تعزيز السلام وحقوق الإنسان والحوار الحضاري»

د.العيسى في صورة جماعية مع المشاركين

جدة:

أطلقت رابطة العالم الإسلامي وجامعة السلام للأمم المتحدة من مدينة جدة في المملكة العربية السعودية، كتاباً لـ "تعزيز السلام وحقوق الإنسان والحوار بين الحضارات"، في إطار احتفال الأمم المتحدة بمرور ١٠٠ عام لتعزيزها مبدأ تعددية الأطراف، ومرور ٧٥ عاماً على تأسيسها.

ويمثل هذا التعاون البحثي إنجازاً استثنائياً على المستوى الدولي وأنموذجاً في تحقيق التعاون وتوحيد الرؤى العالمية في قضايا عالية الأهمية وذات جوانب متعددة، إذ تمكّن من خلاله الجانبان من جمع جهود المؤسسات والحكومات والجامعات من مختلف الخلفيات والثقافات والأديان حول العالم.

وشارك في إنجاز هذا العمل الضخم ٣٢ من كبار الشخصيات الدينية والأممية والسياسية والفكرية والإعلامية حول العالم، حيث ساهمت أفكارهم في إثراء البحث بالخبرة والممارسات ذات التنوع الثقافي بمختلف تجلّياته.

وأبدى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سعادته بتدشين هذه الشراكة المهمة مع الأمم المتحدة، والتي جمعت أيضاً جهات عالمية متميزة وحريصة على أن تسهم في سلام ووئام عالمنا ومواجهة كل الصعوبات والتحديات التي تواجهه، وخاصة الوصول إلى فاعلية الحوار، مؤكداً معاليه حرص رابطة العالم الإسلامي على تحقيق تلك الفعالية من خلال محاور شجاعة وشفافة لتصل إلى الأهداف المشتركة التي ينشدها الجميع، مشيراً إلى أنه كلما اتسعت دائرة الحوار الفعال ضاقت دائرة المخاوف من الآخر، وأصبح الجميع

شارك في الإنجاز ٣٢ من كبار الشخصيات الدينية والأممية والسياسية والفكرية والإعلامية حول العالم

أقــرب لبعض وأكثــر تعاوناً بــل وأكثر محبة واحتراماً.

وأضاف معاليه: "قلت دائماً ولا أزال بأن ١٠٪ من مشتركاتنا الإنســانية كفيلة بإحلال السلام والوئــام في عالمنــا"، مؤكداً أن "علــى القادة الدينيين والمؤسســات العامة والخاصة بما في ذلك المؤسسات الأممية مسؤولية تجاه الإسهام الفعال لتحقيق تطلعاتنا المشتركة".

واســتطرد معاليه قائلاً: "لابد من الوصول إلى تحالف حضاري يمثل حقيقة تفاهم وتســامح وتعاون الجميع، إضافة إلى تعزيز الوعي بالإيمان بســنة الخالق جل وعلا في الاختــلاف والتنوع والتعدد".

وأوضح الدكتور العيســى أن: "التاريخ أعطانا دروساً وعظات تُثبت أنه لا منتصر في مواجهات الصــدام والصراع الحضــاري، وهــذا يعني أن الأفكار لا يمكن إيصالها إلا بأســاليب الحكمة والاحترام المتبادل".

وشدد معاليه على أن رابطة العالم الإسلامي تحمل رسالة ســلام تضع على عاتقها مهمة تخفيف التوترات التي تثيرها بعض المساجلات، وقد تمكنت من تحقيق ذلك من خلال التركيز على نشر الوعي بأهمية تفهم الاختلاف الطبيعي بين الأديان والأفكار و"الثقافات عموماً"، وكذلك تعزيز الأخوّة الإنســانية والشراكات الحضارية ورفع مستوى التعاون لخدمة الإنسان والتصدي لمهددات المجتمعات الإنسانية، وأيضاً رفع الوعي بأهمية الحريات المشــروعة، والوعي بأهمية ألا تكون هذه الحريات جســراً للكراهية والصدام الحضاري والثقافي، مشــيداً بجهــود المملكة العربية السعودية العالمية في مواجهة كافة أساليب الصدام والصراع الحضاري.

وتناول معالي الأمين العام للرابطة في حديثه وثيقــة مكة المكرمة، التي صــادق عليها أكثر من ١٢٠٠ مفــتٍ وعالم وأكثر من ٤٥٠٠ مفكر إســلامي مــن ١٣٩ دولــة يمثلــون ٢٧ مذهباً وطائفــة حيث شــكل اجتماعهــم التاريخي منعطفاً اســتثنائياً ومهماً في إجماع علماء ومفكري الأمة الإسلامية "بمختلف مذاهبهم وطوائفهم بدون اســتثناء أي منهم"، مؤكداً أن بنود هذه الوثيقة كفيلة بأن تصنع السلام العالمــي بمبادرة مــن علماء ومفكــري العالم الإسلامي.

من جانبه، أكد سعادة رئيس الأساقفة، السيد إيفان يوركوفيتش، القاصد الرســولي ومراقب الكرســي الرســولي الدائم لدى مكتب الأمم المتحدة في جنيف والمنظمات الدولية الأخرى، على أن الأخوّة باتت فــي وقتنا الحاضر ضرورية أكثر من أي وقت مضــى، موضحاً أن النتيجة الحتمية للتخلي عن لطف المواجهة هي اللجوء إلى فظاظة الصراع.

فيما أكد سعادة السيد العربي جاكتا، رئيس لجنة الخدمة المدنية الدولية، ومساعد الأمين العام للأمم المتحدة، أن موظفي الخدمة المدنية الدولية لديهم نداءات، خاصة خدمة مُثُل وقيم السلام، واحترام الحقوق الأساسية، والتقدم الاجتماعي والاقتصادي والتعاون الدولي.

وأضاف أن اليونسكو تعد الوكالة الرائدة في منظومة الأمم المتحدة لتعزيز الحوار بين الأديان والثقافات في إطار العقد الدولي للتقارب بين الثقافات، معرباً عن أمله في أن تلهم ثقافة السلام والتسامح عملهم اليومي داخل منظومة الأمم المتحدة.

أما سعادة السيد باتريك سيمونيت، سفير بعثة الاتحاد الأوروبي لدى المملكة العربية السعودية والخليج، فقال: "يعتقد أعضاء الاتحاد الأوروبي أن العالم يحتاج إلى أن تحكمه قواعد ومعايير متفق عليها مثل تلك التي تجسدها الأمم المتحدة، وأن التحديات العالمية تتطلب نهجًا متعدد الأطراف في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى".

بعد ذلك، أكد سعادة السيد ألفارو إيرانزو جوتيريز سفير إسبانيا لدى المملكة العربية السعودية، أن إسبانيا حاولت أيضًا لعب دور في الجهود الدولية التي تهدف إلى توفير هيكل للحوار بين المجتمعات والأديان.

وشدد على أن هذا العمل البحثي الرائع الذي نسقته جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة ورابطة العالم الإسلامي يستحق كامل الدعم والتفاني، إذ إنه "يوفر التفنيد الفكري الضروري الشامل لكافة السلبيات في سبيل الارتقاء فوق تصورات الماضي التي تبرز عند الانقسامات".

وأبدى سعادة السفير والمراقب الدائم لدى جامعة السلام للأمم المتحدة في جنيف واليونسكو وباريس السيد ديفيد فرناندیز بويانا، سروره بتميز المشاركين في البحث، من العلماء والشخصيات السياسية والدبلوماسية ذات المكانة العلمية والخبرات العالمية المهمة.

فيما قدم سعادة السيد فرانسيسكو شاكون سفير كوستاريكا لدى المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية، أحرّ الثناء والتهنئة لرابطة العالم الإسلامي وجامعة السلام على هذا العمل الملهم الذي يمهد الجسور، مؤكداً أنه "عزز ثقافة السلام والتي تعد حجر الزاوية في سياسة كوستاريكا الخارجية".

فيما قالت سعادة السيدة لبنى قاسم، نائبة رئيس البعثة الدائمة للإمارات العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة في جنيف والمنظمات الدولية الأخرى: "إنه لشرف وفخر أن أكون قد أسهمت في مبادرة مثل هذه المبادرة غير المسبوقة حول السلام وحقوق الإنسان".

واستعرضت نموذج دولة الإمارات العربية المتحدة للتسامح والاندماج، مشددة على أن الوقت الذي نعيشه الآن هو وقت حرج في تاريخ البشرية، لذا علينا احتضان خلافاتنا، معربةً عن أملها في أن يسهم هذا البحث في التشجيع على الانخراط بالحوارات بين الأديان والثقافات من أجل تحقيق السلام والازدهار للجميع.

تهنئ رابطة العالم الإسلامي معالي السفير **حسين إبراهيم طه**، بمناسبة تزكيته بالتوافق أمينًا عامًا لمنظمة التعاون الإسلامي، سائلين الله تعالى له العون والتوفيق في أداء مهامه.

الرابطة تشارك في اليوم

العالمي للسكري

نظمت رابطة العالم الإسلامي فعاليات متعددة حول العالم بمناسبة اليوم العالمي للسكري، حيث شاركت بإجراء الفحوصات والتحاليل، وقدمت للمستفيدين أدوية السكر والفيتامينات.

معالي الشيخ العيسى يناقش عضو مجلس النواب الفرنسي في العديد من المواضيع..

التقى معالي الأمين العام الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى يوم الأربعاء الموافق ١٤٤٢/٠٤/١٠هـ في مكتبه بجدة عضو مجلس النواب الفرنسي السيدة أميليا لاكرافي، وجرى خلال اللقاء مناقشة العديد من المواضيع ذات الاهتمام المشترك.

معالي وزير خارجية المالديف: جهود الرابطة ملموسة في جميع أنحاء العالم ...

استقبل معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى أمين عام رابطة العالم الإسلامي في مكتبه صباح يوم الخميس الموافق ١٤٤٢/٠٤/١١هـ معالي وزير خارجية المالديف السيد عبدالله شاهد، وثمن معالي الوزير الجهود التي تبذلها الرابطة في خدمة القضايا الإسلامية والإنسانية .

على المسلمين في أوروبا واجب حمايتها ولتنظيمات (الإسلام السياسي): حذار أن تنقلوا إسلامكم المشوه المنحرف للغرب

د. السيد محمد علي الحسيني
أمين عام المجلس الإسلامي العربي في لبنان

في غمرة الأوضاع المتوترة في المنطقة عموماً وليبيا والعراق وسوريا ولبنان واليمن خصوصاً، ولا سيما بعد الجرائم والمجازر المروعة التي هزت منطقة الشرق الأوسط والعالم كله، تبدو الحاجة أكثر من ضرورية من أجل أن يعمل كل مسلم مقيم في أوروبا ما بوسعه في سبيل عكس صورة إيجابية عن ديننا الحنيف بحيث تبين معدنه الطيب الأصيل.

جرائم الذبح والعنف الدموي المفرط وتكفير الآخرين على الرغم من كونهم مسلمين، من الواضح أنها أضفت شيئاً من الضبابية والغموض على الكثير من الجوانب الإنسانية المشرقة للدين الإسلامي، وبدأت للأسف تعطي انطباعاً بأن الإسلام مبني على السيف ويسير في ظلاله، ومع إيماننا بالسيف والجهاد في سبيل الله تعالى، لكننا لا نعتقد أن الجهاد مجرد نزهة أو لعبة ما، وإنما هو قضية شرعية يجب الإفتاء به عند اكتمال معظم الشروط المتعلقة به، وأن طرح أمور وقضايا تثير الجاليات المسلمة المقيمة بأوروبا عموماً وفرنسا خصوصاً وتدفعها للتعصب والتطرف إنما هو أمر لا يخدم الدين الإسلامي أبداً بأي وجه من الوجوه.

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين". الإسلام الحقيقي والشفاف والذي تقبله القلوب والنفوس الإنسانية بشغف، هو الذي يخاطب البشرية بهذا المنطق السمح المفعم بالعاطفة الإنسانية وبفيض الرحمة الإلهية، ذلك أن تواجد المسلمين في بلدان متقدمة من مختلف الأوجه ولها فهمها وأسلوبها الحياتي والحضاري الخاص بها، يحتم عليهم أن يلتزموا نهجاً عقلانياً سمحاً ينطلق من المباني الواقعية للإسلام والتي تدعو للمحبة والتآلف.

البشرية في هذا العصر، هي في أشد الحاجة إلى التسامح والدعوة إلى التعايش وقبول الآخر أكثر من أي وقت مضى، ومما لا شك فيه أن التقدم التكنولوجي ساهم كثيرا في التقريب بين الشعوب والحضارات والثقافات وما زال "شئنا أم أبينا"، هناك الكثير من الحواجز الزمانية والمكانية فيما بينها، وأن هناك الكثير من الآيات الكريمة التي تدعو إلى التسامح والإنسانية من غير الآية التي أوردناها آنفا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"، أو

"خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، "أو "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم"، أما ما جاء من أحاديث للرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، بشأن الدعوة للتسامح فمنها: "رحم الله امرئ سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"، أو "السماح رباح"، كما من المهم جدا أن نتذكر الموقف الإنساني السمح لخليفة المسلمين علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) عندما فتح المسلمون مكة المكرمة عندما هتف بأمر من النبي، صلى الله عليه وسلم: "اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة"، وذلك على الضد من الشعار الجاهلي الذي ردده سعد بن عبادة: "اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة". من الضروري أن يتمعن كل مسلم ومسلمة في الآية الكريمة: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة"، وأن انحدار البشرية كلها باختلاف أديانها وأعراقها ومشاربها من نفس واحدة تدفعنا لكي نشعر بالرابط الإنساني الأخوي، وأن المسلمين إذ يقيمون في البلدان الأوروبية فإن عليهم أن يساهموا في الحفاظ على السلام والأمن والاستقرار السائد، لا أن يشاركوا بقصد أو دون قصد "لا سامح الله"، في تعكير الأوضاع، بل من صلب واجبهم أن لا يسمحوا بأي عمل إرهابي فيما لو كانت لديهم معلومات مسبقة خصوصا حماية أماكن إقامتهم من الأعمال الإرهابية والأهم من ذلك إبداء المساعدة اللازمة للجهات المختصة كي تحول دون ارتكاب أعمال إرهابية، كما أنه من المناسب جدا التحصين الداخلي للأسرة المسلمة بإبعاد أفكار التطرف والتعصب عنها، ومتابعتهم وتحصينهم من أصدقاء السوء وإبعادهم عن المواقع والمنتديات التي تحمل طابع تطرف وتدعو للتكفير والإرهاب، ولا سيما عدم أخذ الأسرة إلى الأماكن المشبوهة التي تنشر هكذا أفكار ضالة مضلة، كما أنه من المهم علينا أن نؤكد على إنكار ديننا لكل أنواع الإرهاب وأنه يحرم القتل والاعتداء، وكما أسلفنا في بداية مقالنا هذا، فإن مهمتنا كمسلمين في بلاد الغرب هي تعريفهم بديننا وماهيته الإنسانية السمحة، وأن الأخلاق الطيبة في التعامل والأخذ والعطاء والتعايش بسلام، هي في مجملها مرتكزات توضح عظمة الإسلام الكامنة في سماحته ومعاداته للتطرف والتعصب.

الإساءة للرموز الدينية
فعل مخالف للقانون الدولي

د. المحجوب بن سعيد- الرباط

ظاهرة الإســـاءة للأديان ليست وليدة اليوم، بل هي متجـــذرة في التاريـــخ، لذلك ليس مـــن الموضوعية ربطها بما حدث ويحدث من تطورات في علاقة الغرب مع المســـلمين والإســـلام منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إلى اليوم. فمنـــذ وقت طويل والتحامل على الأديان قائم، لكنه تقـــوَّى بصورة كبيرة ومثيرة بعد عصر النهضة الأوروبيـــة. كانت تلك لحظة بارزة في تعميق هذه الإساءة من خلال الكتابات الأدبية التي راجـــت بصورة كبيرة مع انتشـــار المطبعة، ثم فيما بعد من خلال الســـينما والراديو، وأخيـــرًا التلفزيون ومواقع التواصل.

إن موضوع تشـــويه صورة الأديـــان من بين القضايا التي لا تزال تؤرق بعض أجهزة الأمم المتحدة منذ أكثر من عقـــد من الزمن، فصدرت بشـــأنه قرارات ترمي إلى إدانة ممارسيه، لكنها - مع الأسف - قرارات غير ملزمـــة قانونيًا رغم تأثيرها الأدبي والمعنوي. لقد بدأ الاهتمـــام بالقضايا الدينية خلال الســـنين الأخيرة داخـــل الأمم المتحدة وخاصة داخـــل جهازين مهمين وهما الجمعيـــة العامة، ومجلس حقوق الإنســـان.

وهناك ثلاثة اتجاهات أساسية حول أهمية مكانة الدين في القانون الدولي لحقوق الإنسان، ومكانته في أجهزة الأمم المتحدة المهتمة بالموضوع، وهي:

- اتجاه أول يرى أنه لا ينبغي أن يكون للدين أي دور معياري في القانون الدولي، وهذا التوجه يتبناه ويدافع عنه معظم الفقهاء الغربيين الذين يطرحون ضرورة أن يبقى القانون الدولي محايدًا.

- اتجاه ثانٍ يعترف بالدور الفعلي والأساسي للعامل الديني في القانون الدولي، دون أن يطالب بأي دور مهم للدين في المجال العمومي. ويرى هذا الاتجاه أن الدين يلعب دورًا بارزًا ومهمًا في تطور القانون الدولي، وفي اتجاه الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.

- اتجاه ثالث يرى أن الدين يجب أن يلعب دورًا مركزيًا في القانون الدولي ليس فقط كمصدر، بل كأداة معيارية، ويُنعت هذا الاتجاه بكونه توفيقيًا، وهو مسنود بعدد من الفقهاء الذين يعتبرون أن الدين جد مهم وأساسي في الحياة الدولية.

ويلاحظ هيمنة الاتجاه الثالث على ممارسات أجهزة الأمم المتحدة التي تسعى إلى اتخاذ مواقف معتدلة، حيث اتخذت في السنوات الأخيرة مواقف مساندة نسبيًا لتجريم تحقير وسب الأديان والرموز الدينية، كما يبدو أن الوثائق الدولية تميز بين قذف وسب الأديان وبين الدعوة والحث على الكراهية الدينية.

إن إطلاق العنان بدون قيود لحرية الرأي والتعبير بكل مظاهرها بما فيها الرسوم الساخرة (الكاريكاتورية)، تلته نقاشات حادة وانتقادات عنيفة تهدف إلى منع احتقار وسب الأديان مما أدى إلى تشكل جماعات ضاغطة قوية تدفع نحو ضرورة وضع تشريعات وطنية، وأيضاً تشريع دولي يمنع نقد الأديان أو الإساءة إليها، واحتقارها بكل الوسائل. وتجد هذه المبادرات شرعيتها في سعيها الحثيث إلى الحد من الجرائم الناتجة عن الكراهية والحقد العنصري والديني على السواء. ليس الهدف الكامن من وراء ذلك هو الحد من ممارسة حقوق الإنسان، أو العمل على تقييدها، بقدر ما أن الهدف منه هو اتخاذ إجراءاتٍ للحد من الغلو في الاعتداء عليها من هذا الطرف أو ذاك.

إن التوفيق بين حقوق الإنسان وبين حرية الرأي والتعبير، وبالخصوص الحرية الدينية أمر صعب جدًا، ولا يمكن تحقيقه، إن لم يتم وضع قانون يحمي هذه من تلك، وإلا فإن الحرية الدينية وحقوق الإنسان سيتم خرقها وانتهاكها بشكل فوضوي بفعل جبروت حرية الرأي والتعبير وتسلط وسائل الإعلام.

لقد شهد مجلس حقوق الإنسان نقاشًا حادًا بين أعضائه حول مفهوم الإساءة للأديان وعلاقته بحرية التعبير في سنة ٢٠٠٨، خاصة بعد نشر الرسوم الكاريكاتورية المهينة لشخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في بعض الصحف الدانماركية والفرنسية، وذلك عند مناقشة تقرير حول الموضوع أعده المقرر الأممي الخاص حول أوجه التمييز العنصري، اقترح فيه استبدال مفهوم "الإساءة إلى الأديان" بمفهوم "التحريض على الكراهية". وحصل انقسام وسط أعضاء المجلس بين من يرى ضرورة وضع قانون لحماية الأديان، ومن يرفض ذلك بمبرر أنه سوف يؤدي إلى الحد من حرية التعبير.

كما صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١١ أبريل ٢٠١١ على القرار رقم ٢٢٤/٦٥. وقد استحضر القرار مختلف الجهود التي بذلت في هذا الإطار منذ نشوء الأمم المتحدة إلى حدود لحظة إصداره، مستعرضًا مختلف الاتفاقيات الدولية، والإعلانات والقرارات الدولية ذات الصلة بموضوعات عدم التمييز بكل صوره وخاصة التمييز الديني والكراهية

ضد الإسلام والمسلمين بالدرجة الأولى، ثم اليهودية والمسيحية.

لقد أكد هذا القرار في فقرته التاسعة على أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تعرب عن استيائها من استخدام وسائل الإعلام المطبوعة والسمعية البصرية والإلكترونية في التحريض على أعمال العنف وكراهية الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، وتمييز ضد أي دين، ومن استهداف الكتب المقدسة، وأماكن العبادات، والرموز الدينية لجميع الأديان وانتهاك حرماتها. كما يعيد هذا القرار التأكيد على التوصية العامة رقم ١٥ الصادرة عن لجنة القضاء على التمييز العنصري، التي تنص على حظر نشر جميع الأفكار القائمة على التفوق العنصري، أو الكراهية العنصرية بما ينسجم مع حرية الرأي والتعبير، ودون السقوط في التحريض على الكراهية الدينية. وتدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة كافة الدول انطلاقاً من نص هذا القرار، إلى واجب تطبيق أحكام الإعلان الخاص بالقضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد. وتحث في نفس الوقت الدول الأعضاء فيها إلى العمل في إطار أنظمتها القانونية والدستورية بتوفير الحماية الكافية من جميع أعمال الكراهية والتمييز والتخويف والإكراه الناجمة عن الحط من شأن الأديان ومكانتها.

شرعت بعض الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة في اتخاذ بعض الخطوات لحماية الحرية الدينية، واحترام الأديان، بلجوئها إلى سن قوانين لمنع الإساءة إلى الأديان، ومنع عرض الصور النمطية السلبية عن أتباع الأديان. لكن مع ذلك فإن هذه الصور النمطية، لا تزال تنتشر بقوة في بعض الدول الغربية تحت مبرر حرية الرأي والتعبير، وحرية الإعلام، كما بقيت هذه الدول تتردد في إصدار تشريعات وطنية، انسجامًا مع ما التزمت به من قواعد القانون الدولي لحقوق الإنسان، من أجل معاقبة من ينتهك حرمة الأديان حتى ولو تذرع بحرية الرأي والتعبير التي تتناقض جملة وتفصيلا مع الكراهية والتمييز الدينيين.

في ضوء هذه المعطيات، هناك مجموعة من الأسئلة تفرض نفسها: كيف يمكن منع الإساءة إلى الأديان؟ وما هي الآليات الكفيلة بالتنزيل العملي لقرار الأمم المتحدة؟ وهل بدأت تظهر آثار بعض التشريعات التي تمنع ذلك؟ أم أن الأمر لا يزال على ما كان عليه، في ظل الأحداث التي تشهدها مناطق عديدة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب الصحراء تتسم بانتشار حركات دينية متطرفة تهدد الأمن والسلم العالمين؟ واستفحلت فيه ظاهرة الإسلاموفوبيا؟ وهل حان الوقت لوضع اتفاق دولي ملزم يتم بموجبه احترام الأديان والتمييز بين حرية الرأي والتعبير ومسألة الإساءة إلى الأديان، واعتبار ذلك بمثابة مساس بحقوق الإنسان في وقت تزايدت فيه موجة التمييز والكراهية والعنصرية على أساس العرق والدين في أوروبا؟

وتستمر الأسئلة: كيف السبيل إلى ذلك؟ هل بفرض قيود على حرية الإعلام، وبالتالي على حرية الرأي والتعبير؟ أم بإطلاق العنان لها دون حسيب

ولا رقيب؟ أم بجعل حق احترام الأديان وحرياتها نداً مساوياً لحرية التعبير عن الرأي؟ لأن طغيان أحدهما على الآخر، قد يؤدي إلى انتهاك مبدأين قديمين متأصلين في منظومة حقوق الإنسان، لا يمكن التضحية بأحدهما من أجل الحفاظ على الآخر. إن الاشتغال على هذه القضايا والتوصل إلى إجابات موضوعية وشاملة بشأنها؛ سيكون من دون شك إضافة نوعية للجهود الإقليمية والدولية المبذولة من أجل تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والتعايش بين الشعوب من أجل مواجهة الحركات والتيارات التي تلجأ للعنف والإرهاب باسم الدين وتهدد الأمن والسلم العالميين.

وتعد رابطة العالم الإسلامي بوصفها مظلة للشعوب الإسلامية، من أكثر المنظمات الإسلامية والدولية المؤهلة للمساهمة في القيام بهذه المهمة. لقد أكدت وثيقة مكة المكرمة أن "سن التشريعات الرادعة لمروجي الكراهية، والمحرضين على العنف والإرهاب والصدام الحضاري كفيل بتجفيف مسببات الصراع الديني والإثني". كما أن تبرير أهلية الرابطة للقيام بهذه المهمة يستند في رأينا على اعتبارين أساسيين اثنين:

الاعتبار الأول: ويتمثل في الجهود الكبيرة والمتواصلة التي يبذلها الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى من أجل نشر الخير والسلام والوئام وتعزيز الحوار مع أتباع الأديان، والتعريف بالقيم الإسلامية الصحيحة والنبيلة في بعدها الإنساني والحضاري، والترويج لمفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة التي تقوم على المحبة والتعاون في بناء المجتمع الحضاري، والحرص على محاربة أي شكل من أشكال الإساءة إلى هذه الأسرة في وئامها وتقاربها وتعاونها وتحابها بمختلف أديانها وأعراقها وثقافاتها ودولها، ودعوة أتباع الأديان والثقافات إلى تعزيز تواصلهم الإنساني وتلاقيهم وتعاونهم في إطار المشتركات والمصالح.

الاعتبار الثاني: ويتمثل في أهداف الرابطة الداعية إلى دفع عوامل النزاع والشقاق، وتعزيز اللحمة بين الشعوب والأمم، والعناية بالتواصل الحضاري ونشر ثقافة الحوار، حيث أصبحت الرابطة في طليعة المؤسسات الحضارية والثقافية والدينية حول العالم لكونها استطاعت أن تقدم خطاباً حضارياً حافظ على قيم الهوية والثوابت الإسلامية، وانفتح بشكل إيجابي على القيم الإنسانية المشتركة. كما أن الرابطة أبرمت اتفاقيات تعاون وشراكة مع عدد من المنظمات الإسلامية والدولية المعنية كمنظمة التعاون الإسلامي ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة • إيسيسكو- ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة • يونسكو ـ والمجلس العالمي للقادة الدينيين، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، ومؤسسة نداء الضمير الأمريكية لتعزيز قيم الوئام ومحاربة التطرف.

يضاف إلى ذلك أن الرابطة، بمناسبة الأحداث التي شهدتها الساحة الفرنسية خلال شهر أكتوبر ٢٠٢٠ أصدرت بيانا أدانت فيه أساليب الإساءة لأتباع الأديان ومن ذلك "الرموز الدينية" لأي دين، وبيَّنت أن الإسلام ينهى عن ذلك. وأكدت الرابطة على أن المبدأ الحقوقي لـ"حرية التعبير" لا بد أن يؤطر بالقيم الإنسانية التي تقوم على احترام مشاعر الآخرين، وأن حرية الرأي متى خرجت عن تلك القيم فإنها تسيء للمعنى الأخلاقي للحريات، كما تسيء إلى مقاصد التشريعات الدستورية والقانونية التي أكدت على ضمان حرية إبداء الرأي بأي أسلوب مشروع، ولم تقصد من ذلك إثارة الكراهية والعنصرية بذريعة حرية الرأي، ولا افتعال الصراع الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب.

الإساءة للرسول
والرموز الدينية جريمة في حق الإنسانية

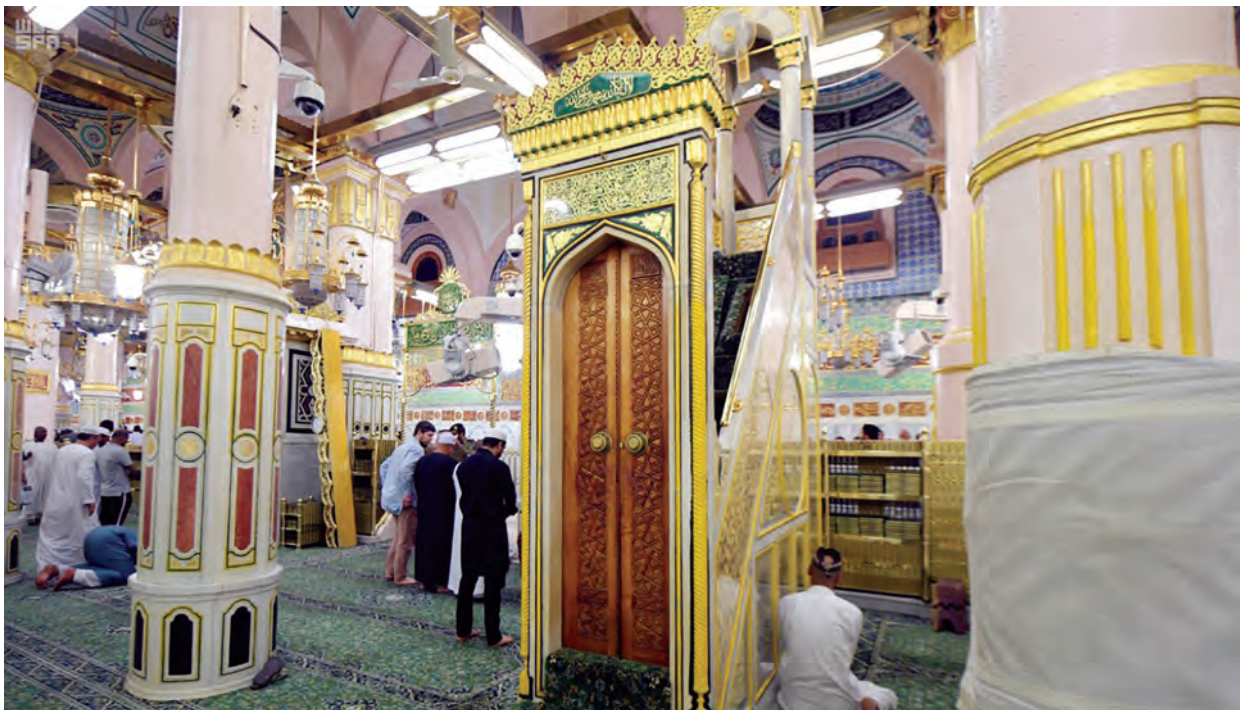

محمد الدسوقي

الإســـاءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرموز الدينية المقدسة جريمةٌ في حق الإنسانية كلها.

الإســـاءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم والأنبيـــاء عدوان ســـافر على حقوق الإنســـان وحرياته بزعـــمِ "حرية التعبيـــر والإبداع"، وهي أعراض لأمـــراض دفينة أخصهـــا الحقد والكبر والتعالي ونشر الكراهية.

الإساءة للرسول مكر ســـيئ يستهدف زعزعة الثقة بين الدول والشعوب، وإحلال التدابر محل التعارف، ودفـــع علاقات التعـــاون إلى البغضاء والتناحـــر، وإشـــعال الفـــتن، ووأد جهـــود الأمن والسلم الدوليين.

لا حرية ولا إبداع في الاعتداء على الرموز الدينية

الإرهاب والتكفير وراء تزايد الأفكار المنحرفة عن الدين

الإساءة للرسول ـ في أحد أشكالها ـ فخ ينصبه البعض استفزازا للمسلمين؛ لتعميق أكذوبة "الإسلاموفوبيا" وتأجيج صراع الحضارات، واستعداء الناس على الإسلام وأهله.

الإساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم والرموز الدينية تستوجب يقظة الأمة في مواجهة ما يحاك لها من مكائد ومؤامرات لإفساد علاقاتها مع الآخرين. وتستلزم التعاون للرد على تلك الإساءة بما يوضح سماحة الإسلام وأمنه وأمانه، وأنه دعوة للمحبة والتراحم والتفاهم.

ولن يتحقق ذلك بعيدا عن منهج الإسلام الدعوي الذي يراعي المصالح العليا للأمة، ويحفظ أمنها القومي، ويحمي مكتسباتها في شتى المجالات، ويشجع تعاونها وتكاملها وتراحمها، ويلتزم بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

ولن يتحقق ذلك إلا بالبعد عن الغلو والتكفير، ونبذ أسباب العنف، ومواجهة التطرف والإرهاب؛ ففيها مآرب لخصوم الإسلام توشك أن تتحقق بأيدي المتطرفين والإرهابيين والتكفيريين لمصلحة أعداء الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ولن يتحقق ذلك إذا حاولت أي جماعة مسلحة أو منحرفة الفكر انتهازية السلوك استغلال هذا الحدث أو ذاك لتحقيق مصالح خاصة ضيقة باحتكار الحديث باسم الإسلام، ذلك أنه رسالةُ الله الخاتمة إلى البشرية جمعاء، وليس حكرا على جماعة متطرفة أو تكفيرية أو إرهابية.

والأولى بالحديث باسم الإسلام الجهات الموثوقة المشهود لها دينيا وتاريخيا بالأمانة العلمية، والسماحة السلوكية، وصدق النيات، ونبل الأهداف، والإخلاص في خدمة دين الله، ورعاية مصالح الأمة، وحماية مكاسب أوطانها، فما أكثرها وأعظمها في عالمنا العربي والإسلامي.

بدأت جرائم الإساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم والرموز الدينية المقدسة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتنوعت بين الإساءة بالقول والفعل حين أغرى به أهل الطائف سفهاءهم حتى أدموا قدمه الشريفة قذفا بالحجارة.

وحرص القرآن الكريم ـ خلال فترة نزول الوحي ـ على الرد على تلك الإساءات، وفضح أحقاد من وراءها، وتفنيد مزاعمهم، وإسقاطها.

ومن أمثلة تلك الإساءات تجاوز "أبو لهب"، عم

النبي، في حق الرسول صلى الله عليه وسلم خلال لقائه عشيرته من بني هاشم لدعوتهم إلى الإسلام، إنفاذا لأمر الله تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" .. (الشعراء: ٢١٤).

قال أبو لهب موجها حديثه للرسول صلى الله عليه وسلم: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

القرآن الكريم لم يترك الإساءة تمر، فقال تعالى: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ❁ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ❁ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ".. (المسد: ١-٣).

ومن ذلك أيضا محاولة المشركين إلصاق صفة "الجنون" برسول الله صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله. سجل القرآن الكريم عليهم ذلك بقوله تعالى: "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ".. (الحجر: ٦).

وتولى القرآن الكريم الرد على تلك الإساءة، فقال تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ❁ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ".. (القلم: ١و٢).

وأنزل الله تعالى قوله عز وجل: "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ".. (الكوثر: ٣) ردا على العاص بن وائل وغيره ممن أساؤوا للرسول صلى الله عليه وسلم، وأطلقوا عليه صفة "الأبتر" بعد وفاة ابنه إبراهيم.

وكان أبو جهل يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمنعه عن الصلاة في الحرم، ثم يذهب مختالا بما فعل.

مر أبو جهل بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي عند المقام، فقال: يا محمد، ألمْ أنهك عن

مطلوب استراتيجية متكاملة للتعريف برحمة الرسول والرسالة

العالم مطالب بالتعاون لإصدار قوانين لِتَجْرِيمِ ازْدِرَاءِ الأَدْيَانِ

هذا؟ وتوعده: فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره.

فقال أبو جهل ساخرا متهكما: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا، فأنزل الله وحيه الكريم متوعدا أبا جهل ردا على إساءته للرسول صلى الله عليه وسلم: "فَلْيَدْعُ نَادِيَه ❁ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ".. (العلق: ١٧و١٨).

نصرة النبي:

لقد أجمعت الأمة الإسلامية على "نصرة النبي" صلى الله عليه وسلم، والدفاع عنه في مواجهة حملات الإساءة إليه. وطالبت المؤسسات الإسلامية باستصدار قرار دولي لتجريم ازدراء الأديان والإساءة إلى رموزها.

وحذرت من أن حملات الإساءة لرموز الإسلام تستهدف إحداث قطيعة بين العالم الإسلامي والغرب. ودعت إلى التعاون لتصحيح المفاهيم

الخاطئة عن الإسلام ورسوله في وسائل الإعلام ومناهج التعليم الغربية.

وأحسن بعض المراكز الإسلامية في أوروبا في استغلال ما واكب تلك الأحداث والاضطرابات للتعريف بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والسيرة النبوية الشريفة من خلال توزيع كتيبات باللغات الأجنبية لهذا الغرض.

دعايات مضللة

وفي مناسبات مهمة أكد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية أن العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بدأت منذ أن بعثه الله، فقد عاداه بعض العرب الذين بعث فيهم صلى الله عليه وسلم، فوصفوه بالشاعر والكاهن والمجنون والمفتري والمتقوّل، وكلها كلمات باطلة ودعايات مضللة، وهم يعلمون كذب ما قالوا.

وأكد أن نصرة النبي الكريم تكون بالتمسك بسنته، والعمل بشريعته، ومحبته الصادقة الضاربة جذورها في قلوب المسلمين. وأوضح أن الله حثنا على نصرة نبيه بأقوالنا وأفعالنا.

وحذر الدكتور محمد شوقي علام مفتي مصر من أن الجماعات المتطرفة شوهت صورة الإسلام في الغرب، ونشرت خطاب الكراهية.

وشدد على أن الاعتداء على مقام النبي صلى الله عليه وسلم، بأي شكل من الأشكال، أمر مرفوض تماما، ولا يمكن قبوله.

وقال: نحزن حزنا شديدا لذلك، ونستنكره بشدة، ويجب أن يكون دافعا لنا لمزيد من التعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبالشريعة والأخلاق الإسلامية، وأن نظهر الصورة المثلى للإسلام.

ودعا القادة الدينيين والسياسيين في الغرب إلى إيجاد أرضية مشتركة لحوار متكافئ بهدف القضاء على ظاهرة "الإسلاموفوبيا" وخطابات الكراهية.

وأكدَ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن النبي صلى الله عليه وسلم أغلى علينا من أنفسنا، وأن الإساءة إليه دعوة صريحة للكراهية والعنف، وانفلات من كل القيم الإنسانية والحضارية.

وأوضح أن تبرير الإساءة بدعوى حرية التعبير فهم قاصر للفرق بين الحق الإنساني في الحرية، والجريمة في حق الإنسانية باسم حماية الحريات.

وحذر من أن الإساءات للرموز الدينية تعد استفزازا صريحا لمشاعر نحو ملياري مسلم حول العالم، الأمر الذي يرسخ لخطاب الكراهية، ويقف حائلا أمام لغة الحوار البناء والتواصل الحضاري، ويتنافى مع الجهود المبذولة، لتحقيق التعايش السلمي واحترام الأديان.

مهام عاجلة

لا شك في أن الحاجة ملحة لتعاون دول العالم الإسلامي وهيئاته ومنظماته في بناء استراتيجية متكاملة لمواجهة محاولات الإساءة إلى الإسلام ورسوله ورموزه الدينية.

وينبغي أن تعنى الاستراتيجية المأمولة

بالاستفادة من المنابر الدولية للأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لبيان عظم الجرم الذي يرتكبه المتجاوزون في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي حق البشرية كلها.

إن الحملات على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم تتعلل بحرية التعبير، وتعتبرها حقا تحميه قوانينهم، وهذه مغالطة تتناقض مع قوانين الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان الغربية، التي تدعو إلى منع المساس بالرموز الدينية، لما يثيره من الكراهية والتمييز والصدام بين المجتمعات الإنسانية.

كما ينبغي أَن تعمد مؤسسات الأُمة السياسيةُ والدبلوماسية - وفي مقدمتها وزارات الخارجية والتعاونِ الدولي والسفارات - إلى وضعِ قضية الإساءة إلى الإسلام ورسوله بندا دائما على جداول محادثاتها مع المؤسسات الغربية المناظرة.

إن أمتنا مطالبة بتكثيف جهودها لدى المنظمات الدولية والإقليمية؛ لاستصدار قرارات لتجريمِ ازدراء الأديان، والإساءة إلى الأنبياء والرسل.

تطوير الخطاب

إن الحاجة لا تزال ملحة إلى التعاون في تطوير أساليب الدعوة، بما يناسب العصر.

ويجب تتبع كل ما يوجه إلى الإسلام من اتهامات باطلة، وطعون كاذبة، والرد عليها بلغات العالم بالمنطق العقلي، والبراهين القوية، لا بالتعبير العاطفي، أو الأسلوب الانفعالي.

ولا بد من اختيار الدعاة الموفدين إلى دول الغرب ممن يجيدون لغات تلك الدول، ويلمون بالتيارات السياسية والفكرية والاجتماعية والعلمية والتعليمية في تلك المجتمعات.

وعلينا أن نقاوم بقوة جميع أعمال العنف والتطرف والإرهاب التي تسيء إلى صورة الإسلام الحضارية، ونبيه المبعوث رحمة للعالمين؛ فالإسلام دين محبة وسلام، يرفض العنف، ويدين التطرف، ويحارب الإرهاب، ويحمي دماء مخالفيه في العقيدة، ويصون حقوقهم، ويجعل الاعتداء على شخص واحد بغير حق عدوانا على البشرية كلها.

إن الواجب يقتضينا أن نواجه الإساءات المتكررة بحق الرسول صلى الله عليه وسلم والرموز الدينية بالعمل الجاد على نشر السيرة النبوية من خلال مسارين متلازمين:

الأول تسهر على تنفيذه وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي بوضع منهج للسيرة النبوية الشريفة، يدرس في مراحل التعليم المختلفة، لغرس محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب الطلاب، والتربية على اتباعه والتأسي به.

والثاني يرعاه المسلمون في الدول الأوروبية بهدف التعريف بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما اتصف به من الرحمة والتسامح، وأن يلتزموا في سلوكهم القيم الإسلامية، والأساليب الحضارية.

ولا بد من تنشيط حوار الأديان والحضارات في مواجهة حملات الإساءة ونشر الكراهية.

عضو اتحاد الأئمة والدعاة في أمريكا الشمالية لـ "الرابطة":

المجال خصب للتعريف بالإسلام.. ويبقى الخطاب الواعي والمعلومة الصحيحة

حوار: توفيق محمد نصر الله

ناقشت مجلة الرابطة فضيلة الدكتور عمر أحمد شاهين المؤسس والعضو الدائم لاتحاد الأئمة والدعاة في أمريكا الشمالية وعميد الدراسات الإسلامية بإحدى الكليات الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية.

تناول الحديث عددًا من القضايا والمشكلات التي تواجه العمل الإسلامي بشكل عام، ومن بينها: واقع الدعوة في أمريكا، واحتياجات المسلمين هناك، وأفضل الطرق لنشر قيم الوسطية وتعميق أواصر التآخي والتآلف بين المسلمين، ونبذ خطاب العداء والفرقة بينهم، والأسلوب الأمثل لأدب وثقافة الاختلاف في المجتمعات المسلمة، وغيرها من القضايا التي أفاض ضيفنا في الحديث عنها خلال الصفحات التالية:

- لنبدأ بالسؤال عن واقع التعريف بالإسلام في أمريكا كيف تراه؟

هناك مجال خصب للتعريف بالإسلام في هذا البلد؛ فديننا عظيم وأساليب الدعوة موجودة ووسائل التواصل الاجتماعي ذللت كل السبل،

ولم يبق إلا الخطاب الواعي الصحيح ونقل المعلومة الصحيحة عن الإسلام لغير المسلمين، وقد مررت شخصياً بموقف يؤكد صحة ما أقول.

- ما هذا الموقف الذي مررت به؟

عندما كنت في ولاية (أريزونا) زارتني بعض الطالبات وقُلن لي: لماذا الدين الإسلامي متعصِّب ضد المرأة؟ فأعطيتهن بعض الكتيبات وأشرطة (سي دي) عن حقوق المرأة في الإسلام، وطلبت منهن قراءتها والاستماع للأشرطة فذهبن. وبعد مدة توافدت عليَّ أخريات يشتكَين

من الأمر نفسه، فسألت طالبة منهن وقلت لها: أنتن طالبات في الجامعة نفسها والشكوى واحدة فما السبب؟ قالت لي يوجد بروفيسور في الجامعة يشن حملة شرسة على المسلمين، وخاصة حقوق المرأة في الإسلام، فوضحت لهن بعض الأمور التي تخفى عليهن، وأجبت عن تساؤلاتهن وزودتهن ببعض الأشرطة التي تتحدث بشكل أوسع عن الإسلام، فكانت النتيجة إسلام ثلاث منهن في أقل من ثلاثة أسابيع.

- هذا يقتضي الاهتمام بفتح مجالات لدراسة الدين الإسلامي، فهل لكلياتكم نصيب في هذا المسعى؟

تضم مؤسستنا الجامعية (أف جي تي) قسمًا للإسلاميات يدرس فيه ٣٩٠ طالباً في مرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وبرامجها قوية استقيناها من الجامعات الإسلامية في العالم، خاصة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة التي درستُ فيها، وجامعتنا عمرها ثمانية وخمسون عاماً، ولها علاقات مع العديد من الجامعات في العالم، مثل: جامعة أكسفورد بلندن، وبعض الجامعات في إيطاليا وغيرها.

وفي أمريكا لدينا العديد من الجامعات الإسلامية، حاولنا بأن نتحد معهم لنكون تحت مظلة جامعة إسلامية واحدة تضم كل الطلاب المسلمين في أمريكا، ولكن لم نصل لهذا الهدف الراقي. وفي جامعتنا هذه نعقد دورات للدعاة والأئمة نعلمهم من خلالها كيفية التواصل مع غير المسلمين، خاصة إذا كان هو من الشرق، وكيف يتواصل مع المسلمين في الغرب؛ لأن الداعية القادم من الشرق الأوسط يحتاج إلى تدريب من نوع خاص في فهم وممارسة الخطاب والتعامل مع طريقة التفكير الغربية.

- على ذكر الجامعات الإسلامية في أمريكا؛ كم عددها؟

لدينا ١٢ جامعة إسلامية، بعضها لديها ١٦ طالباً وبعضها لديها ٢٠ طالباً وبعضها لديها ٢٠٠ طالب، وكنت أتمنى أن يجتمع كل هؤلاء تحت مظلة واحدة ولكن لم يتم ذلك لسبب أو لآخر.

- ما الذي يمنع ذلك وما الذي ينقص المسلمين في أمريكا؟

لا ينقصهم شيء سوى التعاون، خاصة العاملين في حقل التعليم الإسلامي، وألا يكتفوا بما يسمعونه في الإعلام؛ لأن الإعلام يحاربنا ويمزقنا، وهناك من المنتسبين للإسلام من لديه ذهنية الاستماع لجهة واحدة فقط، يسمع منها ولا يسمع من غيرها، مع أنه يجب عليه أن يسمع من الجميع، فتجده ينأى بنفسه ويبتعد عن المسلمين وعن الدعاة؛ لأنهم خالفوه في آرائه وهذا خطأ، وبعضهم يبتعد عن الجلوس معهم؛ لأنهم من مذهب آخر مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم جلس مع النصارى واليهود، والأولى أن نجلس نحن مع أبناء الدين الواحد.

- هل يحصل ذلك مع أن المسلمين يتنامى وجودهم في المجتمع الأمريكي؟

بلى، فقد بلغ عدد المسلمين ١٢ مليون نسمة، فهم قوة، والحمد لله بعد الحادي عشر من سبتمبر أصبح هناك توحيد للجهود، وأصبح لنا صوت فنحن لم نعد أقلية، مع أن هناك بعض الأقليات الأخرى يقل عددها عن ستة ملايين نسمة يعتبرون أنفسهم بأنهم ليسوا أقلية، فما بالك بـ(١٢ مليونا) والعدد في ازدياد ولله الحمد. لدينا في ولاية (أريزونا) وحدها ٧٥ ألف مسلم، وبها ٢٢ مركزاً إسلامياً و٣ مدارس إسلامية، ومركز للشباب، وقس عليها بقية أنحاء أمريكا، فهناك نمو واضح للمسلمين، وتطور في طرق نشر الإسلام، ولا نزال في حاجة أكبر لتوحيد الجهود، وتعاون المنظمات الإسلامية، ولاتحاد الأئمة في أمريكا الشمالية دور فعال في هذا السبيل.

- ماذا عن ظاهرة الإسلاموفوبيا؟ ما أسبابها ومدى انتشارها؟

هي عبارة عن إشاعات غذَّاها الإعلام واعتبرها مخاطر ضد البشرية، والناسُ في أمريكا على الفطرة، أما سببها فهو جهلهم بالإسلام؛ لذا فهم بحاجة إلى أئمة لديهم دراية وحكمة في توصيل رسالة الإسلام.

وأضرب لك مثالا على ذلك، ففي أحد المساجد في أريزونا اجتمع المئات من سائقي الدراجات النارية أمام المسجد يهتفون ضد الإسلام ويصفون المسلمين بالإرهابيين، وبدلاً من الدخول في مواجهة معهم، قام بعض الإخوة بالحديث مع قائدهم وإفهامه معنى الإسلام، فكانت المفاجأة منه أنه أسلم في الحال، وبعد أن كان يقف بالأمس ضد المسلمين أصبح اليوم يقف مدافعًا عنهم؛ لأنه علم الحق، فرسالة الإسلام واضحة وسهلة لا تحتاج منا إلى جهد كبير في إيصالها للناس، فقط تحتاج إلى إخلاص في إيصالها.

- كيف يمكن التصدي لمشاريع العداء والكراهية والصراع الطائفي بين أبناء الأمة المسلمة؟

التصدي للصراع يكون بالانقياد والطاعة لله سبحانه وتعالى، فعلينا أن نمتثل لطاعة الله قولا وفعلا في جميع أمورنا، فطاعة الله هي الكفيلة بإنهاء كل هذه الصراعات الطائفية، والله سبحانه عندما أخبر في كتابه العزيز "إن

أكرمكم عند الله أتقاكم" أنهى كل الفروقات بين فئات الأمة، وعلينا الابتعاد عن الصراع الطائفي الذي يغذيه أعداء هذه الأمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

- إذن ما أفضل الطرق لتعميق أواصر التآخي والتآلف بين المسلمين ونبذ خطاب العداء والفرقة بينهم، وهل يكون ذلك باتباع إسلام وسطي؟

يكون ذلك باتباع أوامر الإسلام، فهو الحل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة، وأنا اختلف مع الذين يقسمون الإسلام إلى وسطي، وغير وسطي، فالإسلام هو الإسلام وهو الدين المقبول من الله سبحانه لخلقه، ولا يجوز لنا أن نبتعد عن النهج السوي الذي وصفه الله لنا وسماه وسطاً: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا"، وصفة الوسطية هي للمسلمين وللأمة، ومن شواهد الوسطية عدم التشدد والتواصل مع غير المسلمين فما بالك بالمسلمين، وأمر نبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون بأن يذهبا إلى فرعون ويقولا له قولاً ليناً، وفي ذلك حثٌّ على بناء الجسور، وعدم قطع العلاقات والنأي بالنفس، بحيث لا يعتقد الإنسان أنه فوق الجميع، وأن نلتزم قوله سبحانه وتعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"، فهذه دعوة عامة أن يكون لدينا حكمة في الخطاب الشرعي سواءً أكنا نخاطب مسلماً أم غير مسلم.

- كيف ترون جهود معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في نشر قيم الوسطية والاعتدال والتسامح في العالم من خلال زياراته الدولية؟

جزى الله معالي الشيخ الدكتور محمد العيسى خير الجزاء، فهو يمثل المسلمين في هذه الجولات التي فيها الخير الكثير الذي يفتخر به كل مسلم، لقد عمل معاليه على إيصال رسالة الإسلام إلى الجميع؛ لأن ديننا هو دين التسامح، ودين السلام، ودين الوسطية، ولا شك أنها جهود مقدرة من جميع المسلمين في العالم، وهي جهود مشكورة، خاصة زيارته للفاتيكان وغيره من مؤسسات أصحاب الديانات الأخرى، أسأل المولى أن يجعل كل ما قدمه في موازين حسناته، وأن يجزيه عنا خير الجزاء لقيامه بهذا العمل الطيب المبارك.

- لماذا شاع التكفير والتطرف في مجتمعاتنا المسلمة برأيك؟

شاعت هذه الظاهرة بسبب الجهل بحقيقة الإسلام؛ لأن من جهل شيئاً عاداه، فلولا الجهل لما وصل أتباع داعش إلى هذه المرحلة التي يظنون أنفسهم على حق بعد أن غسلوا أدمغتهم وجعلوهم يعتقدون بأنهم على حق، وهم أبعد ما يكونون عن الدين الإسلامي الذي يدعو إلى السلم والسلام، والذي ينشر الأمن والاطمئنان في ربوع العالم، ولا شك أن جهلهم بالدين هو الذي أوصلهم إلى ما هم عليه اليوم، كما قال أحد العلماء: "الحلال أو تحليل الأمر يحتاج إلى فقيه، أما الحرام فالكل يتقنه" سهل جدا أن أقول هذا حرام، أما أن أحلله فهذا يحتاج إلى دليل؛ لذا تجد أسهل ما عندهم التكفير؛ لأنهم يجهلون مبادئ الإسلام، ولا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، فأصبحوا يكفرون الناس بسبب وبغيرها سبب، والنبي صلى الله عليه وسلم وضح لنا من هو الكافر؟ ومن هو غير الكافر؟، ولكن الجهل بالدين هو الذي دفع هؤلاء إلى تكفير الناس وتضليلهم والعياذ بالله.

- خطابنا الإسلامي: أما ترى بأنه لا زال خطاباً تقليدياً لا يراعي روح العصر؟

صدقت والله هذا هو الواقع للأسف، وإذا نظرت

إلى أمريكا تجد أن الناس الآن ابتعدوا عن الاستماع والجلوس ساعة من الزمن لسماع محاضرة من عالم، أو شيخ، أو متحدث، فهذه الأمور أصبحت من ذكريات الماضي، فالجيل الجديد اليوم إن جلس معك خمس دقائق في الساعة وانتبه إليك فهذا يعني أنك محظوظ جدا، لذا علينا أن نبحث عن البدائل للوصول إلى هؤلاء، وأنا في إحدى الندوات التي أقمتها في المساجد، تحدثت عن كيفية التواصل مع بعضنا بعضاً؛ لأن هذا أصبح علمًا قائماً بذاته، والحمد لله هناك جامعات ومؤسسات في مختلف أنحاء العالم تقوم بالتدريب، خاصة الأئمة، على مثل هذه الأمور،كيف تتواصل مع الجميع وكيف توصل فكرتك إلى الناس من دون كلام، ومن دون ضغط وأنا لدي بعض المحاضرات لا أتحدث فيها ولا حتى بكلمة واحدة مع أنها محاضرة، وإنما هي عبارة عن تمارين رياضية أوصل من خلالها ما أريد .

- إذن كيف يمكن ترشيد الخطاب الدعوي والإعلامي من وجهة نظرك؟

جزى الله خيراً رابطة العالم الإسلامي، وغيرها من المؤسسات الإسلامية العالمية التي تقوم بترشيد الخطاب الدعوي والإسلامي. أرى بأنه قبل ترشيد وتوحيد الخطاب الدعوي نريد دعاة حقيقيين، ونريد مؤسسات تدعو إلى توحيد وترشيد الخطاب الإسلامي؛ لكي لا نضع الناس في بحر من الظلمات، هذا يقول كذا وذاك يقول كذا؛ لذا علينا أن نرشد الخطاب الإسلامي والإعلامي؛ لأن الإعلام في هذا الزمان هو السلاح الأقوى، عرف أعداء الأمة كيف يستخدمونه لتمزيق الأمة، والآن أصبح كل شخص إعلامي في جميع شبكات التواصل الاجتماعي يوصل ما يريده في ثوانٍ للعالم بأجمعه من بدع وضلالات وأفكار مغلوطة؛ لذا فعلى المؤسسات الإسلامية، أخص بالذكر رابطة العالم الإسلامي مسؤولية جسيمة في تحقيق ذلك؛ بحيث نضع الثوابت الإسلامية ونتفق عليها، وهي ثوابت غير متغيرة محكمة من رب العالمين، بَعدها نُعطي المرشد الطريق الأمثل للإرشاد لكي لا نوقع الناس في شبهات وترهات وخلافات، خاصة أننا نخاطب العامة والعامة لا يفقهون إلا ما يسمعون "خاطبوا الناس على قدر عقولهم".

- ما دور العلماء في توحيد صف المسلمين؟ وكيف يمكن تقريب وجهات النظر بينهم؟

العلماء عليهم واجب كبير في توحيد هذه الأمة، ففي عام ٢٠١٣م قمت بفكرة عندما بدأنا ببناء مسجد في (فينيكس أريزونا)، فقد جمعت الأئمة في أريزونا وقلت لهم: نريد أن نجتمع ولو مرة واحدة في الشهر لكي نجمع المسلمين على أمر واحد؛ بحيث نصوم ونفطر معاً في رمضان، وفي العيد نقوم بأداء صلاة العيد جماعة، وقد تحقق ذلك ولله الحمد. ومنذ ذلك الوقت والمسلمون في أريزونا يتبعون قولاً واحداً، وبعد أن نجحت الفكرة قررت أن أوسعها فأسست اتحاد الأئمة في أمريكا الشمالية، والآن يوجد ستمائة إمام في هذا الاتحاد، نجتمع معاً ويتعلم بعضنا بعضاً، نتبادل الخبرات فيما بيننا، واسْتعنَّا بمتخصصين لتدريبنا، خاصة في مجال الإعلام، كيف نخاطب الإعلام وكيف نوجه ونرشد العمل وكيف نوحد الخطاب الإسلامي، فكل هذه الأمور تتحقق من خلال هذه المؤسسات الطيبة وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي، من خلال ما تقوم به في المؤتمرات التي تجمع القاصي والداني من أبناء هذه الأمة الإسلامية تحت سقف واحد لتبادل الخبرات والمعارف؛ ولنشارك بعضنا البعض في الخبرات والآراء والتوجهات، وهي جهود مشكورة ومقدرة جزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وحدة الأمة المسلمة

وفقه المتغيرات

الدكتور حسن عزوزي
المملكة المغربية

في خضم تيارات الفتن المتلاطمة وموجات الصراعات الفكرية المتلاحمة التي تتعرض لها الأمة المسلمة في العصر الحاضر، تتطلع الأجيال المؤمنة الواعية إلى التماس الحلول الكفيلة بإنقاذها من عوامل التشتت والفرقة والضياع. وقد أجمعت آراء العلماء والقادة المصلحين على أن وحدة الأمة المسلمة هي الملاذ الأوحد والحل الأمثل لتحقيق القوة والعزة وجمع الشمل وتحقيق وعد الله تعالى بأن تكون الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس.

ولا يختلف اثنان في كون الوحدة الإسلامية مطلباً إسلاميًا مهماً تنبثق من عقيدة كل مسلم ويتعلق بالمحافظة عليها قلبه ومشاعره وجوارحه عبر القرون الطويلة من حياة المسلمين. وتبرز الحاجة الماسة إليها في عصرنا الحاضر لإيقاف مظاهر البعد عن منهج الله المحكم في بناء كيان الأمة الواحدة.

وتعتبر قضية الوحدة الإسلامية إحدى المقاصد الكبرى في الشريعة الإسلامية، وهو مفهوم مقتبس من عقيدة التوحيد، فهذه الأمة أمة توحيد واتحاد، قال الله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" (الأنبياء، ٩٢)، وقال سبحانه: "وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون" (المؤمنون، ٥٢). كما وضح رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم دعائم الإخاء والمساواة والعدالة في عقيدة التوحيد التي بلغها عن رب العالمين فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" (مسند أحمد ٥/٤١١). ويقول عليه الصلاة والسلام: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة" (سنن الترمذي ٤/٣٢٦).

ومن لم يؤمن بأن المؤمنين أمة واحدة فقد عاند نصوص القرآن وخالف حكمته وجانب دعوته ودخل ضمن من يُشاقون الله ورسوله والمؤمنين، وقد قال الله تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا" (النساء، ١١٥).

لقد دعا الإسلام إلى الوحدة لأنها طبيعته وركنه الذي تقوم عليه دعوته الدينية العامة الموجهة إلى الناس أجمعين، حيث استجاب لها المسلمون في أول عهدهم فأكسبتهم قوة وعزة وغلبة عزت بها الدعوة الدينية فانتشرت وانتصرت وصدَّت من عارضها. وعني الإسلام كثيرًا بتقوية تلك الوحدة وإحكام تلك الرابطة حتى جعلها أخوة بين المسلمين تنمحي فيها الفوارق وتختفي فيها الطبقات ويتساوى فيها جميع الأفراد في منازلهم وحقوقهم

وواجباتهم، وجعل لهذه الوحدة وتلك الرابطة ما لرابطة الأخوة من القوة والمكانة والحرص على صيانتها والبعد بها عن أن تتعرض لمعاول الهدم والتفريق وأسباب الخصومة والنزاع فنزل قوله تعالى في سورة الحجرات: "إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله" (الحجرات، ١٠) بيانًا لمنزلة هذه الرابطة وإيجاباً لصيانتها بالإصلاح بين أفرادها إذا ما اشتجر بينهم خلاف. وليس أدل على مكانتها من أن عدها الله نعمة يمتن بها عليهم ويدعوهم إلى الحرص عليها ويحذرهم من الفرقة بعد اعتصامهم بها، قال تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" (آل عمران، ١٠٣).

وإذا كانت الدول الواعية تعمل على وحدة شعوبها اقتصاديًا وسياسياً فإن الدول الإسلامية أولى بالوحدة، لأنها تملك الأصول الراسخة التي تقوم الوحدة على أساسها، بجانب ما لها من ثوابت في وحدة العقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق والمبادئ، وهي مجموع الروابط التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية.

إن كل يوم يمر إلا ويشعر المؤمن فيه بالوحدة الإسلامية إن أدى العبادات اليومية على وجهها، فتلك الوحدة في قلبه آناء الليل والنهار بالصلوات الخمس إذ يؤديها المسلمون جميعًا إلى قبلة واحدة، فإذا تصور المسلم عند أداء الصلاة أنه واحد من عشرات الملايين يتجهون إلى مثل اتجاهه ويُوَلون وجوههم شطر بيت الله الحرام علم أين تكون مثابته وأين تكون جماعته، إنه عندئذ يدرك أنه لبنة في بناء مجتمع كبير يضم أقطاراً من الشرق والغرب.

وإذا كان ذلك الارتباط بالمكان في الصلاة فهناك ارتباط بالزمان في شعيرة أخرى من شعائر الإسلام وهي الصوم، فإنه إذا أهل شهر رمضان ورؤي هلاله فإن في ذلك إشعاراً لجميع المسلمين بأنهم أمة الله تعالى دعاهم إلى الوحدة فيها، أما في الحج فتلتقي جماعات من كل بلد إسلامي في بيت الله الحرام في ضيافة الرحمن فيتعارفون ويتعرف أبناء كل بلد على أحوال وآمال وآلام أبناء البلدان الأخرى.

إن وحدة الأمة المسلمة تقوم على أساس عقدي

راسخ ورباط فكري اختياري وثيق جمعت في رحابها الأخوي شعوباً متنوعة في الوطن واللون واللغة فكانت هذه الوحدة أرقى صورة حضارية لقيام الأمة. وبفضل الالتزام بعقيدة التوحيد واتباع مناهج القرآن والسنة تمكنت الأمة المسلمة من تكوين أعظم مقومات وحدتها والنهوض بأقوى إمكاناتها لتتغلب على مختلف الفوارق حتى استوعبتها بكل جدارة وقدرة حين تعلق بحبها المسلمون ودافعوا واشتركوا على صعيدها بتاريخ حضاري متميز ومصالح اقتصادية متكاملة وعادات وقيم متقاربة وشعور موحد في الآلام والآمال مما حال دون تفككها عبر القرون الطويلة.

ومن هذا كله يتبين لنا أن مقومات الوحدة لدى الأمة المسلمة قد شملت العديد من المجالات بعضها ثابت وبعضها متغير، وإذا كانت قيم الشريعة المثلى تعتبر المفتاح الأساس لمقاربة الثابت والمتغير فإن فقه المتغيرات هو القدرة على التوفيق بين ثبات القانون والسنن الإلهية من جهة وحركية الحياة الإنسانية الخاضعة للتجديد من جهة أخرى، إذ الشريعة تستهدف في قوانينها تحقيق الأمن والعدالة وتحقيق تنظيم قوي للعلاقات بين الناس يكفل حريتهم ويمنع اختلافهم، كما تستهدف تأمين تطلعات الإنسان العليا في التقدم الحضاري والتكامل المعنوي. وهذه جملة أهداف ثابتة في حياة الناس، فعلى سبيل المثال نجد أن الإسلام كشريعة يرى من ضرورات الحق والعدل أن يتوفر الأمن داخل الأمة المسلمة كقيمة ثابتة، وإنما المتغير في هذا المجال هو وسائل وأساليب توفير الأمن وهي من مهام العقل البشري. وأعطيت السلطةُ الشرعية في كل عصر الصلاحياتِ اللازمةَ لإصدار التعليمات والإجراءات التنفيذية التي لا تتعارض مع قيم الحق والعدل لحفظ الأمن وحمايته.

لقد جعلت الرسالة الإلهية الثبات الركيزة الأولى للتشريع وذلك لرعاية الإسلام منظومة متكاملة من القيم التي لا تتأثر بالتطور لأنها قائمة على السنن الإلهية الحقة التي لا تجد لها تحويلا، قال تعالى: ﴿فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (فاطر، ٤٣).

لذا فمقومات الوحدة لدى الأمة المسلمة تجمع بين مفهوم الثبات والمرونة في ذات الوقت ويعني ذلك وجود ثبات في الأهداف ومرونة في الوسائل، ثبات في الأصول ومرونة في الفروع، ثبات في الكليات ومرونة في الجزئيات، فكما أن هناك أمورا ثابتة هناك أمور قابلة للتغير، ولذلك فمقومات الوحدة صالحة وثابتة في كل زمان ومكان لكن التفاصيل يمكن أن تتغير.

ولا يختلف اثنان في كون الأحكام في الأقسام المذكورة إنما ترمي إلى تحقيق مصالح الناس ومراعاة منافعهم. وبعض هذه المصالح والمنافع يتبدل ويتغير بتغير الزمان أو المكان أو لأي عامل من العوامل التي تؤثر في تغير المصالح. يقول الدكتور مصطفى الزرقا رحمه الله: ﴿من المقرر في فقه الشريعة أن لتغير الأوضاع والأحوال الزمنية تأثيراً كبيرًا في كثير من الأحكام الشرعية الاجتهادية وعلى هذا الأساس أسست القاعدة الفقهية القائلة: ﴿لا يُنكر تغيرُ الأحكام بتغير الزمان﴾، وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان واختلاف الناس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية، أما الأحكام الأساسية التي جاءت الشريعة لتأسيسها وتوطيدها بنصوصها الأصلية فهذه لا تتبدل بتبدل الأزمان﴾ (المدخل الفقهي العام ص ٩١٤).

لذا فالشريعة الإسلامية يمكن أن تجمع بين مفهوم الثبات والمرونة في ذات الوقت، وهو ما يعني وجود ثبات في الأصول ومرونة في الفروع. فكما أن هناك أموراً ثابتة هناك أمور قابلة للتغير. وقد كان من أبرز مزايا الفقه الإسلامي التي مكنته من الاستمرار والفاعلية توافر مقومات الثبات لأصوله وأسسه ووجود ظاهرة المرونة والسماحة واليسر

فيه، ومواكبة المتغيرات والتطورات فيما لا يمس كيان الثوابت ويتجاوب مع ظروف العصر، وهو ما أظهره فقهاء الأمة من خلال ما أثبتوه من قدرة بارعة في الجمع بين الثابت والمتغير فيما أصدروه من فتاوى جديدة عامة في الأقطار الإسلامية من خلال مجمعات الفقه الإسلامي التي تمثل مجموع دول الأمة المسلمة أو مقصورة على بعض الدول والبيئات والأوضاع المحلية.

إن مما ينبغي الالتفات إليه أن إشكالية الثابت والمتغير في فكر الوحدة الإسلامية يعد بعدًا رئيسًا من أبعادها، لأن أية خطوة يراد إنجازها في مهمة تطور الأمة وتقدمها وتجديد أمرها لا يمكن حصولها إلا في ظل فهم واسع ورحب لفقه المتغيرات انطلاقا من الأصول والأهداف الثابتة التي رسمها الله تعالى لخير أمة أخرجت للناس، لذلك فإن الأمة المسلمة التي يراد أن تكون خالدة وفاعلة ومؤثرة في حياة الإنسان في كل الأزمنة والعصور لا يمكن لعطائها الفكري وتراثها المعرفي أن يتوقف عند حد معين وأفق محدد، لأن البشرية تعيش على الدوام تجددا في أفكارها واتساعا في مداركها. ومبدأ هذا الأمر هو القول بأن فاعلية الدين الإسلامي على الاستمرار والحيوية والتأثير في الممارسات العملية للناس مرهونة بقدرتها على الاستجابة لمتغيرات الظروف الإنسانية التي تتسم بدوام التطور والتبدل والتجدد، وهو ما يستدعي إجابات وحلولا متطورة ومتغيرة لمشاكل ومستجدات عصر من العصور.

من جهة أخرى، فإن بقاء باب الاجتهاد مفتوحًا يمثل أفضل حل لمعالجة مشاكل الأمة المسلمة المتجددة من خلال تواصل المسلمين مع مشاكل العصر المستجدة عبر ما يقوم به الفقهاء والمجتهدون من تعرف ودراسة لهذه المشاكل واستنباط الرأي والحكم فيها على ضوء القواعد الشرعية المقررة.

إن مما له دلالته الخاصة في اعتراف الإسلام بالبعد المتغير في حياة الأمة المسلمة ومراعاته لهذا الأمر هو مبدأ الاجتهاد والذي من أهم مقوماته ضرورة مراعاة الواقع المتغير. فمجتهد الأمة مطالب بالانفتاح على العالم المتغير حوله فيبحث في حقائق المسائل والوقائع ويدرك أسباب التغير وأوضاع المستقبل واحتمالات تطور الحياة وضغوط الضرورة والحاجة لدى الناس ومآلات الأفعال، متقيدا في كل ذلك بقواعد العدل والإنصاف ومراعاة المصالح ودرء المفاسد.

إن مهمة المجتهد ليست بالأمر السهل بل هي معقدة ومتشابكة، فمبدؤه الأصلي النص الشرعي واحترام حكمه ونظرته في قضايا الواقع في حدود قواعد الإسلام الكبرى القائمة على الحق والعدل وغايته تحقيق الانسجام والتآلف بين الأحكام الشرعية والحاجات المتجددة.

وبذلك يتبين أن باب الاجتهاد المفتوح في مراعاته لفقه المتغيرات يسهم في حفظ وحدة الأمة المسلمة التي تتجدد عبر العصور، بتجدد الفهم المعرفي والمذهبي لحقائق الإسلام الثابتة من جهة، ومعطياته المتغيرة المراعية للمصالح والمقاصد الكبرى من جهة أخرى.

وإذا كانت وحدة الأمة المسلمة مقصدا ضروريا من مقاصد الدين فإن المذهبية على نحو لا يسمح بمراعاة تجدد الوقائع وتغير الظروف والأحوال وفتح باب الاجتهاد والتجديد لا تخدم هذه الوحدة، إن الفكاك من المذهبية الفقهية المتعصبة لا يكون إلا بحرية اجتهادية تتوجه الحياة الإسلامية فيها وجهة دينية صحيحة، وهذا التوجه الاجتهادي الحر سيلجئ العقول لأن تتخذ من فقه المذاهب مرجعًا عامًا لها تستعين به على توفيق النوازل والوقائع الطارئة إلى هَدي الشريعة، وحينئذ سيكون الاشتغال بالواقع والتوجه نحو المستقبل لمواجهة التحديات المستأنفة كل يوم في خضم تسارع الحياة عاملاً معمقاً لوحدة المسلمين.

لبنات في التنمية اللغوية للطفل

الدكتور أحمد بوعود

جامعة عبد المالك السعدي- المغرب

إن الاهتمام بالتنمية اللغوية عند الطفل يعني إعداده لغد يكون فيه ذا كفاءة لغوية عالية. والاهتمامُ به منذ الصغر هو من باب التعلم في الصغر كالنقش على الحجر. ولا داعي للتذكير أن مواهبه وقابليته للتعلم وهو في سن صغرى أفضل منها وهو متقدم في السن. وكم هو جميل أن يكون همنا، مدرسين وآباء ومسؤولين، تنمية اللغة عند الطفل وإغناءها. وكم هو أجمل أن نتعاون جميعا من أجل ذلك. إن حدث ذلك سنكون فعلا قادرين على استرجاع ما ضاع منا!

وأرى أن التنمية اللغوية عند الطفل لا بد لها من خمس لبنات:

اللبنة الأولى:
تنمية القراءة لدى الطفل

مهما تكلمت عن قيمة القراءة وعددت فوائدها فلن أوفي حقها، وحتى لا أحيد عن جوهر موضوعنا، أقول إن القراءة:

- أهم وسائل إتقان اللغة.
- عامل من عوامل فهم مكوناتها.
- تنمي التفكير.
- تساعد على تحليل الأفكار ومناقشتها.

ولكي تتحقق هذه الأهداف، وقبل ذلك، لكي ننمي القراءة لدى الطفل أقترح بعض الخطوات:

- وجود القدوة القارئ في البيت، أو في العائلة على الأقل. ولا ننس أن الطفل يتعلم بالتقليد.

- إقناع الطفل بأننا أمة اقرأ، ولا ينبغي لأمة اقرأ ألا تقرأ.

- القراءة للأطفال ولو حتى قبل سن التمدرس، لأن هذا يورث لديهم التهمم بالمقروء ويعودهم عليه، ويبث فيهم الشوق لمعرفة الجديد من الحكايات.

- وفي مرحلة التمدرس نطلب من الطفل أن يقرأ علينا قصة أو موضوعا في متناوله. فزيادة على المتعة التي يجدها في هذه القراءة فإنها تعوده على القراءة لمدة زمنية ليست باليسيرة.

- اصطحاب الأطفال إلى المكتبات والمعارض، وإهداء الكتب لهم في المناسبات وعندما نريد مكافأتهم.

اللبنة الثانية:
استثمار قراءة الطفل

وهذه اللبنة ترتبط ارتباطا وثيقا بسابقتها، ولا بد منها حتى تؤدي تلك القراءة وظيفتها فتطور قدرات الطفل الذهنية واللغوية والتعبيرية، وذلك بوضع مجموعة من الأسئلة على الطفل القارئ عند فراغه من القراءة، منها:

- ما هي فكرة الموضوع، أو القصة؟ حتى يكتسب القدرة على استخلاص الأفكار الأساس في نص ما، ووضع الخلاصات المناسبة.
- ماذا يمكن أن تستنتج؟ وهذا من شأنه أن يعلم الطفل كيف يصل إلى مرامي النصوص وأبعادها.
- ما رأيك في فكرة النص؟ وهذا كفيل بأن يربي

في الطفل حاسة النقد وتكوين شخصية فكرية مستقلة.

اللبنة الثالثة:
إعادة النظر في أدب الطفل

ماذا يقرأ الطفل؟ هل تتوفر فيما يقرأ المواصفات الأدبية فعلاً؟

يراد من أدب الطفل تحقيق مجموعة من الأهداف في مجالات مختلفة، منها:

- تطوير ملكة القراءة لدى الطفل.
- القدرة على كتابة الكلمات كتابة صحيحة لتعوده على رؤيتها.
- اكتساب قاموس لغوي يعينه على التعبير بشكل أفضل.
- معرفة طرق استخدام الأساليب والتراكيب اللغوية.

لكن أدب الطفل في الغالب الأعم لم يحقق إلا هدفا واحدا هو الهدف الترفيهي. أما القضايا الجوهرية كاللغة فهي نادرا ما يلتفت إليها، لأن هناك عوامل أخرى تتداخل في هذا الصنف الأدبي.

وهذه اللغة إما أن تتجاهل الطفل وما يناسب عمره وتفكيره ومتطلباته اللغوية فتخاطبه بلغة لا يفهمها، أو تنزل إلى مستوى هو إلى الدارجة أقرب دون أدنى المقومات الفنية اللغوية. وأظن أنه لو كان من يكتب للطفل هو نفسه من يدرسه بالمدرسة لكان الأمر مغايرا وأفضل، لأن من يدرسه يكون أدرى بمعجمه اللغوي وبقدراته اللغوية وبمكامن الضعف والقوة فيها، فيقدم ما يناسب محققا المتعة والاستفادة في آن واحد.

أما على مستوى الإخراج فقد نجد إخراجا لا يناسب مستوى الطفل، ولا تطلعاته، فتجد المادة مكتوبة بخط لا يناسب الصغار، أو غير مشكولة، أو مشكولة شكلا عشوائيا خاطئا....

اللبنة الرابعة:
تشجيع الأطفال على الإبداع

يبدو الاهتمام بما ينتجه الطفل أمرا في غاية الأهمية، لما له من أبعاد وثمار لا تظهر آنيا. والنبيه حقا من لا يبخس إبداعات الأطفال حقها. فهذه الإبداعات بغض النظر عن مستواها فهي تعبر عن وجهة نظر الطفل، تحتاج إلى التقويم والتوجيه بلطف وحكمة وذكاء، وتشجيع الطفل على المزيد لأن بإمكانه دائما أن يحقق الأفضل. ولو اعتنينا بالطفل في هذه السن المبكرة نستطيع أن ندخر كثيرا من الجهد في المستقبل في تعليم الأبناء والطلبة الذين لا يكونون على استعداد لذلك.

اللبنة الخامسة:
إنشاء معجم لغوي خاص بالطفل

رأينا من قبل أن من يكتب للطفل بعيد عن معجمه اللغوي. والطفل نفسه لا يجد لديه معجما مكتوبا يرجع إليه عند الحاجة، فيضطر إلى التعامل مع المعاجم التي تفوق مستواه. ومن ثم لا يتحقق له ذلك الثراء اللغوي المطلوب.

وقد أنجزت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٩ الرصيد اللغوي العربي لمراحل التعليم الابتدائي. ويشمل هذا الرصيد المفردات التي تضمها الكتب المدرسية بهذه المرحلة والمفردات التي يستعملها الطفل في التعبير الكتابي والشفوي. وقد قسم هذا المعجم إلى مجالات: جسم الإنسان، الحيوانات، الكون، الطبيعة، الأفعال، الأسماء... لكن الملاحظ لم يستفد منه الأطفال، فهو غير متداول بينهم.

يعتبر هذا الرصيد اللغوي العربي، المعجم، لبنة أساس في التنمية اللغوية عند الطفل، وبادرة ينبغي أن تتلوها مبادرات، فإذا كانت اللغة الأجنبية تُدرس ببلادنا وبأكثر من معجم في المراحل التعليمية الأولى، أوليس هذا أولى باللغة العربية؟

ثقافة النشء
وأفلام الكرتون

بقلم يحيي السيد النجار

أفلام الكرتون أو الرسوم المتحركة تستحوذ على عقل النشء، خاصة أنها تركز على التسلية والعنف والمداعبة وطفل السوبرمان بأساليب التشوق بالمشاهدة، ولكن الغالب منها يبعد النشء عن ثقافة مجتمعه، وقيم عقيدته، والنشء في مرحلة عمرية تحتاج للتوجيه والإرشاد، ولذلك فالمجتمع العربي المعاصر يواجه تحديات ثقافية وإعلامية للتأثير على الهوية في ظل انتشار القنوات الفضائية وتطور البعد التقني والإعلام الفضائي لبلدان الأمة الذي لا يمتلك رؤى المنافسة الإعلامية لثقافة الطفل مع الآخر .. بما فيها ثقافة الكبار .. وتلك مفارقة تأملية. بالرغم من أهمية الإعلام العربي لإبراز ثقافة الأمة وثوابتها الحضارية.. وثقافة النشء العربي في أمس الحاجة إلى:

إقامة المؤتمرات العلمية الثقافية والندوات العامة، وإصدار الكتب المبسطة وفق المراحل العمرية، وإنتاج برامج مرئية ومسموعة ومكتوبة للنشء العربي. ومن ينظر لمجلات الطفل الثقافية التي تصدر بعالمنا العربي يراها تفتقد الرؤية الثقافية والعلمية. وتلك المجلات تموج بألوان القصص والحكايات والرسوم، لكنها تفتقد إبراز المعلومة الثقافية والدينية الجادة .. ومن هنا لا تتم تهيئة النشء العربي بالتسلح بالثقافة العلمية والدينية والثقافية .. والنشء مع مراحل تعليمه الأولى بالمدرسة لا يجد من يكتشف المواهب والقدرات الناشئة من أجل تنمية قدراتها، والطفل العربي بل والمسلم من أذكى أطفال العالم حتى سن العاشرة، وذات الطفل يستطيع حفظ كتاب الله كاملا .. ولكن في مرحلة ما بعد العاشرة من العمر يحدث تقهقر في معدل الذكاء .. والتسرب من دور العلم؛ لغياب دور الأسرة وانشغال الوالدين بالعمل على حساب تنشئة النشء.. وفي بلدان عالمنا العربي والإسلامي صروح تعليمية شيدت .. ولكن ما حجم المواهب والقدرات بتلك الصروح؟ وما شكل أسياسات التربية الثقافية لدى الأجيال الصاعدة؟

قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة". رواه مسلم ..

وليت تم تعريف النشء العربي من خلال أفلام الكرتون والرسوم المتحركة بإبراز فكر وعلم علماء الأمة في العصر الوسيط مثل: ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية، وابن الهيثم مكتشف علم البصريات، والكندي عالم البصريات، وابن البيطار عالم الصيدلة .. إلخ.

من هنا يربط النشء العربي بين علم الإنسان وعلم الله عز وجل وقدرته، وعطاء الله في مجال العلم لا ينتهي، والعلم لم يصنعه الإنسان ولكنه يكتشفه.

قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت ٥٣.

والإنسان كائن اجتماعي يسعد بالتآلف والوجود مع الآخرين، ومع انتمائه لأمته وعقيدته وحبه لهما يستطيع أن ينتج بروح من الانتماء.. ولو نظرنا للنمو السكاني في بلدان الأمة نجده نحو ٣٪ سنويا، والمرحلة السنية من ١٥ :٢٥ عاما تصل عربيا لنحو ٤٠٪ من السكان العرب، وهم أيضا بحاجة لثقافة جادة، ولتحقيق تنمية حقيقية على أمل الحد من: إعلام اللهو والتسلية وطفل السوبرمان. وثوابت العقيدة تدعو للأخذ بالعلم، وتدعو لتشغيل العقل، وحينما فترت الهمم في النفوس نما في حركة المجتمع العربي نوع من الغياب الحضاري مع تعددية عالم اليوم.. من هنا وجب تصويب الخطأ لدفع عجلة ثقافة النشء بالتوجه القويم وتوجيه الذات وفق الرؤى المجتمعية التي تستوعب أبعاد الحركة الإيجابية، ومن هنا تتواصل خطوط ثقافة تواصل الأجيال. والتاريخ يمثل ذاكرة الأمة، وهو الذي يحفظ لها ماضيها وحاضرها ومستقبلها .. والمجتمع البناء هو الذي ينظر وراءه قبل أن يتقدم خطوة للأمام، كي يستفيد من تجارب الماضي، لاستثماره نحو آفاق المستقبل..

القرآن الكريم

منهج تربية ودستور حياة

الدكتورة آمال محمد عتيبة

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

يحمل القرآن الكريم منهجاً فريداً في طرحه الموضوعي الشمولي التكاملي المتوازن: فهو كتاب الله الخالد، الذي جاء لإصلاح الكون والحياة؛ فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، ووهبها مقومات الخيرية والعالمية والخاتمية، فصارت خير أمة أخرجت للناس، وقد شهد المولى عز وجل لها بذلك؛ فقال تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [آل عمران:١١٠]. ولقد أنزل الله -عزّ وجلّ- القرآن الكريم لنتخذه منهجَ تربيةٍ ودستورَ حياةٍ، تسعد البشريّة بالأخذ بتوجيهاته وتشريعاته، بما اشتمل على مفاهيم ومبادئ تربويّة صالحة لتربية البشر مهما تنوّعت أجناسهم وألوانهم ومشاربهم وقدراتهم. فالقرآن الكريم بما تضمنه من هداية إلهية وتشريعات سماوية؛ هو مصدر التربية الأول الذي يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة، كل عوامل الطمأنينة والأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المربي الأول لهذه الأمة بمنهج الله، فقد أشرف على تربية جيل من الصحابة فريد؛ فكان ذلك الجيل (الرعيل الأول) ظاهرة فريدة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، بحيث استطاع النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ويخرجه من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الخلق وسماحة الذات؛ قال تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ" [الجمعة:٢].

فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القدوة التي تترجم المنهج الإسلامي إلى حقيقة وواقع، قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (الأحزاب: ٢١)، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن خُلُقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: (كان خُلُقُهُ القُرآنَ).

وبهذا الأسلوب التربوي الفريد، استطاع القرآن أن يربي الرعيل الأول على هذه التربية العلياء. ومن الأهمية بمكان الرجوع إلى هذا النبع الصافي، وإلى معين التربية الأول، إلى القرآن الكريم.

إن برامج التربية ومناهجها وواضعي المناهج التربوية لأبنائنا وشبابنا، في حاجة ماسة لتتبع المنهج القرآني في التربية والإصلاح واستلهامه تأصيلاً وتطبيقاً من السيرة النبوية العطرة؛ لاستنباط

القيم العليا والمبادئ السامية والأسس المنهجية الفاضلة التي يجب أن نربي عليها الأجيال الجديدة؛ لبناء المجتمع المسلم الفاضل.

إن تربية الإنسان والأخذ بيده إلى منازل السمو والرفعة أمر يشغل بال المربين والناصحين العاملين والدعاة المخلصين؛ فبصلاح هذا الإنسان تصلح -بإذن الله- الأرض ويعمر الكون؛ لأنه يوجه طاقاته حينئذ إلى ما فيه صلاحه وصلاح مجتمعه؛ فيكون عضوًا نافعًا في هذا الكون العامر، وبفساده وانحرافه تتوجه هذه الطاقات إلى الفساد والإفساد. والعلاج في ضبط هذه القدرات، وتوجيهها نحو الصلاح والإصلاح؛ يكون باقتفاء منهج القرآن في الإصلاح والتعليم والسير على درب المصطفى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التربية والتوجيه.

سمات المنهج الرباني:

وهذا المنهج الرباني يتميز عن غيره من المناهج البشرية بجملة من المميزات وينفرد عما سواه بكثير من الإيجابيات؛ إنه منهج شامل متكامل متوازن، منهج عملي، يستوعب كل المستجدات والمستحدثات في حياة الإنسان؛ وهو بهذا يفتح أمام الناس باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق هذا الكون إلى الحد الذي تطيقه قدرة الإنسان وطاقته. وهو أيضا منهج يقوم على هذه الأسس ويعتمد على تلك الركائز. منهج يحمل في جنباته الشمول والعموم والدوام والاستمرار، ولا غرابة في ذلك فهو منهج جاء من عند خالق البشر وموجدهم وهو أعلم سبحانه بما يُصلح أحوالهم ويُقَوِّم اعوجاجهم ويلبي حاجاتهم.كما تعد السنة النبوية صورة مجسدة لجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، وهي نموذج لإصلاح الحياة، تستوعب طرائق التربية والتعليم؛ يستفيد منه المعلم والداعية المسلم، فقد كان صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلماً ناجحاً ومربياً فاضلاً لم يأل جهداً في تطبيق أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم.

مآلات البعد عن منهج الله:

ولو أن الناس جميعاً التزموا بهذا المنهج وطبقوا هذا الأمر في واقعهم، لاستقامت حياتهم وصارت كلها هناءً ورخاءً ورغدًا، ولم تبرز الظواهر الخطيرة في حياتهم من القلق والاكتئاب وفقدان السعادة ومعيشة الضنك والبؤس؛ مما يدفعهم في كثيرٍ من الأحيان إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم، وأن يوجهوا طاقاتهم، وما منحهم الله من قوة إلى الإفساد في الأرض بدل إصلاحها، وإهلاك الحرث والنسل بدل عمارة الأرض واستصلاحها. إن السبب في كل ذلك هو البعد عن منهج القرآن والسنة في التربية والاعتماد على المناهج البشرية القائمة على الفلسفة المغرقة بالمثاليات أو الماديات فهي دائماً على طرفي نقيض. ويكمن الحلّ الأمثل في العودة إلى تلك المنابع الصافية (كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والأخذ من تلك المنابع واستخلاص الدروس والعبر؛ ففيها بإذن الله العلاج النافع والناجع.

التربية في الفكر التربوي الإسلامي:

والتربية بمعناها الشمولي في الفكر الإسلامي تهتم بالفرد منذ سني عمره الأولى، بادئة بالحفاظ على مقومات الفطرة السليمة والبراءة الأصلية التي خلقه الله عليها، وتنمية مواهبه واستعداداته الفطرية؛ بصقلها وإضافة مهارات مكتسبة من الخبرات المختلفة التي تزخر بها الحياة. وتوجيه ذلك كله بشكل تدريجي لصياغة كيان الإنسان، بشكل إيجابي في كل مناحي الحياة، جسديا وعاطفيا واجتماعيا وفكريا وفنيا وأخلاقيا وروحيا وثقافيا؛ بالاستعانة بجميع الوسائل والطرق والأساليب المشروعة؛ لتهذيب السلوك وصقل المواهب؛ بغية إيصال الفرد إلى حالة الكمال الإنساني، التي تمكنه من القيام بالتكاليف الشرعية، وتحمل مسؤولية عمارة الأرض وحمايتها من الفساد؛ لتحقيق خلافته عن الله فيها، والغاية من ذلك كله الحصول على رضى الله تعالى.

نخلص إذن إلى أن معنى التربية في الفكر الإسلامي؛ هو: استثمار للفطرة السليمة التي خلق عليها الإنسان مع اتباع الأخلاق والقيم الإسلامية التي تنمي الفطرة السليمة في النفس البشرية، إضافة إلى اكتساب خبرات ومهارات خارجية تنمي شخصية الفرد وتوجه مداركه وتصقل مواهبه، فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه وربما يتعداه إلى غيره من المجتمعات الإنسانية.

كما أن التربية في الفكر الإسلامي أسلوب لبناء الإنسان بناءً شاملاً متكاملاً بوصفه فرداً مسلماً وبوصفه جزءاً من المجتمع الإسلامي؛ ويتحقق ذلك من خلال النضج الكامل في شخصيته.

مفهوم التربية بالقرآن:

ولقد عالج القرآن الكريم المسائل التربوية بكثير من الاهتمام والوضوح، وركّز على بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تتفاعل فيها عوامل التيقن والتدبر والتقوى. وكذلك السعي للوصول بالإنسان إلى مراحل النضج والكمال ليخوض تجربته في الحياة بجدارة واقتدار، باعتبار أنّ صياغة المحتوى الداخلي للإنسان هو الأساس لعملية التغيير الاجتماعي، والقاعدة التي تستند عليها كل المظاهر الخارجية والأبنية العلوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

أما إذا كانت عملية التربية تستهدف المظاهر والقشور الخارجية ولا تنفذ إلى القلب وأعماق الروح، فإنّها إذن ستتحول إلى مجرد تصورات وكلمات وألفاظ جوفاء بلا مضمون أو محتوى. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥].

وتستهدف عملية التربية في المفهوم القرآني بناء الجانب الخيّر في الإنسان، وحذف مظاهر السلبية والانحراف والفساد من حياته، وتوجيه طاقاته نحو الخير والبناء والإعمار، بعد تعريف الإنسان بربه الكريم تعريفاً يقوم على أساس من الفهم والمنطق السليم، وتوضيح طبيعة هذا العالم الهائل المترامي الأطراف وكنهه، وتفسير جوهر الحياة الدنيا والغايات الكامنة وراءها؛ من أجل أن يدرك دوره على هذه الأرض وواجباته المستحقة عليه وحقوقه المترتبة له.

وينطلق منهج التربية في القرآن الكريم من حقيقة هي؛ أنّ كلّ إنسان يولد على الفطرة، وأنّه يمتلك في نفسه الأرضية الصالحة التي تعينه على فعل الخيرات واجتناب المعاصي والآثام؛ قال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

لذلك فقد عمل الإسلام على إبقاء فطرة الإنسان نقية سليمة، وتوفير الأجواء المناسبة من أجل أن يختار سبيل الصلاح والرشاد؛ذلك لأنّ الإنسان على خلاف كل المخلوقات الأخرى يملك قوة واعية مدركة قادرة على التشخيص والاختيار، وهو مسؤول عن هذا الاختيار ويجازى عليه ويحاسب عليه، وهو يستطيع أن يستخدم هذه القوة لتنمية استعدادات الخير في نفسه، كما أنّ له الحرية أيضا في الانسياق وراء الشر والالتحاق بجموع الضلال، والسقوط في هاوية الشذوذ والانحراف،يقول تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" [الشمس: ٧-١٠].كما يقول أيضاً: "لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ. أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ. يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا. أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ. أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَجْدَيْنِ" [البلد: ٤-١٠]. ويقول تعالى في موضع آخر: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" [النازعات: ٤٠-٤١]، كما قال عز من قائل: "بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.

وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

فقد رفع الله من قيمة الإنسان حين جعله أهلاً لاحتمال تبعة أعماله، ووضعه في المكان الذي يليق به كمخلوق نفخ فيه من روحه، وفضّله على العالمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

لذا فإن مسألة التربية بالمفهوم القرآني تتعلق في جزء كبير منها بالإنسان نفسه، فقد فاز من نجح في ترويض ذاته وإصلاحها وإبعادها عن مواطن المعصية والجريمة، في حين خسر كل من تركها عرضة لإغواء الشيطان وإغراءاته ووساوسه يقودها كيفما أراد، وأنى رغب أو شاء.

تربية المسؤولية:

وبما أنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، وعن تهذيبها وتخليصها مما قد يعلق بها من شوائب وأدران، فإنّه لابدّ إذن أن يحتاج إلى دليل عمل وثقافة ومعرفة تعينه على الثبات والاستقامة، ومواصلة الطريق الصعب رغم كل المزالق والعقبات، وهذا الدليل هو القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، وفيه تبيان لكل شيء وهو هدى ورحمة وبشرى للمسلمين. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٩]، ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ولم تقتصر المفاهيم القرآنية التربوية على المسائل النظرية والتوضيح والتوجيه فحسب، وإنما طلبت من الإنسان استقراء الحوادث التاريخية، والاستفادة من تجارب الآخرين والتعلم من أخطائهم وعثراتهم. ودعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في المصائر التي آلت إليها الأقوام السابقة من الذين مضت فيهم سنة الأوّلين لاستخلاص النتائج والعبر ومن ثمّ مواصلة المسيرة على هدى وبصيرة.

وعلى ذلك فإن القرآن هو العامل الأساس في تربية الإنسان المسلم، فهو ليس مجرد معارف يحصل عليها الإنسان من أجل الترف الفكري، إنما جملة من الأمور والخطوط العامة التي تمكّن الإنسان من استيعاب الحياة وكيفية العيش فيها والتعايش معها وفق منهج الله تعالى، ومن ثم تشذب سلوكه وترسم له معالم الصراط المستقيم.

كما بيّن القرآن الكريم للإنسان المسلم المثل الأعلى الذي عليه أن يتشبه به ويقترب منه، وذلك لأنّ الإشارة إلى النموذج والقدوة يمنح المفهوم مثلاً حسياً ملموساً وقوة حركية تجسّد الأفكار على صعيد الواقع والعمل، وتتمثل القدوة بالرسول الأكرم محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يعد مثالا للشخصية الإنسانية المتكاملة التي تتصف بكل الخصائص النبيلة السامية كالصدق والشجاعة والثبات والروح الحانية والنفس السخية الكريمة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد تكون التربية مسؤولية جماعية حيث حرص القرآن الكريم على تحفيز العناصر الخيّرة في الأُمّة، إلى مهاجمة المنكر وإزالة آثاره من صفحة الوجود، وطلب من الطليعة المؤمنة أن تقف يقظة حذرة تجاه أيّة بدعة، وكل ما يخلّ بالنظام السليم للحياة الاجتماعية والاستمرار في الوقت نفسه، بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإحسان.

وهكذا يظلُّ القرآن الكريم العظيم هو مصدر النور الذي ينير العقول والقلوب والنفوس والدروب، ويرسم معالم التربية النفسية والروحية والعقلية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية والسلوكية لأبناءالمسلمين. وبالله تعالى التوفيق...

الترجمة
ودورها في تقريب الثقافات

القاضي محمد عبد الله الصديقي
باحث الدكتوراه في الجامعة العثمانية،
حيدرآباد، الهند

مما لا مرية فيه أن الترجمة إحدى الفنون الراقية التي ازدهرت وبلغت أوج كمالها منذ القديم إلى عصرنا الراهن، وقد ازدادت أهمية الترجمة في عصر العولمة، وأصبحت الدنيا قرية، كأن الناس في البسيطة كلها يستوطنون قرية صغيرة، ومن السهل للناس إيصال أخبار من ناحية في الدنيا إلى أخرى في ثوان ودقائق، ولهذا تحمل الترجمة أهمية كبيرة ومكانة وقداسة بين الناس، وللمترجم مكانة كبيرة، ولكن لا بد للترجمة من رعاية قواعدها، وضوابطها، وأصولها وشروطها، كما أن للقائمين لعملية الترجمة شروطاً ومؤهلات ومهارات معينة، وإن الترجمة وسيلة نقل ثقافات وحضارات الأمم العالمية وعاداتها وطقوسها وتقاليدها من لغة إلى أخرى، كما أنها وسيلة للتعامل والتعاون التجاري والصناعي والعسكري والدبلوماسي بين دولتين أو كثر، كما أنها وسيلة كبيرة لإثراء اللغة وتطويرها بالثقافات والحضارات المختلفة في أرجاء المعمورة، وهي توصل مفاهيم الخطب، والندوات والمؤتمرات والمحاضرات والنصوص من لغة إلى أخرى إلى شعوب العالم أجمع، كما أنها أهم أدوات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر الإسلام النازل في العرب إلى البشرية جمعاء، وكما أن هذه حقيقة ناصعة لا ينطح فيها عنزان فإن عملية الترجمة ليست سهلة بل أصعب من أي فنون، بمختلف أنواعها، التحريرية والشفهية والآلية والعلمية والتقنية والأدبية والطبية والعسكرية والفقهية وما إلى ذلك، وهي تتطلب من المترجم المزيد من المهارة والنبوغ والممارسة لفترة طويلة لإجادتها والبلوغ إلى أقصى غاياتها.

يقول الدكتور محمد أحمد منصور وهو يبيِّن أهمية الترجمة وما لها من قيمة في تبادل الحضارات والثقافات بين الأمم:

"مما لا مراء فيه حاجة الإنسان والمجتمعات قديما وحديثا إلى الترجمة، ذلك لأن الترجمة بين اللغات تمثل حاجة من الحاجات الأصلية للبشرية، وترتقي في بعض الأحيان إلى درجة الضرورة أو الفريضة الواجبة، فهي تمكّن الأفراد والأمم من تخطي الحواجز اللغوية بسبب اختلاف الألسنة، فيقوم كل بدوره الفاعل والمؤثر في النهوض بالحضارة الإنسانية، وقد تتفاوت

الشـــعوب أو الأجيال في نصيب كل منها في هذا الدور، فبعضها قـــد يكون فاعلا، وبعضها متفاعلا، وبعضها منفعلا، غير أن بناء الحضارة الإنسانية ليس مقصورا على شـــعب واحد من الشعوب، أيا كانت عبقريته، ومهما كان إبداعه وتميزه، كما إنها ليست منحصرة في مكان بذاته، أو حقبة تاريخية بعينها، بل إنها حصيلة للتجربة الإنسانية المشتركة، فيها تسهم كل أمة بجهدها"(١).

الترجمة لغة:

إن الترجمة كلمة عربية أصلية، كما جاء في لسان العرب:

" التُرجمان، والتَرجمان: المفســـر، اللسان، الترجمان بالضم، والفتح: هو الـــذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة أخرى، والجمع "التراجم" (٢).

الترجمة اصطلاحا:

يذكـــر خبراء الترجمـــة والمختصون فيهـــا تعريفات اصطلاحية عدة لها.

تقول الدكتورة صفاء خلوصي في تعريف الترجمة: الترجمـــة فـــن جميل يعنـــى بنقل ألفـــاظ ومعان وأساليب من لغة إلى أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة العربية يتبين النصوص بوضوح، ويشـــعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية (٣).

خلاصة ما جاء فـــي تعريفاتهـــا الاصطلاحية في الكتـــب والمجلات أنها تعني نقل الأفـــكار والمفاهيم من لغة إلى أخرى مع مراعاة التسلسـل المنطقي، وقواعـــد اللغـــة النحويـــة والصرفيـــة والصوتية والدلالية والبلاغية والمصطلحـــات والتقابلات وما إلى ذلك، مع الحفاظ على روح النص المنقول.

ويطالب معظم علماء الترجمة بالاهتمام بالمعنى، وليـــس بالمفـــردات اللغوية، ذلـــك أنـــه إذا لم تقم الترجمـــة بالوظيفة الإيصاليـــة، أي إذا لم يكن لها معنى لدى المتلقي، فإنها في هذه الحالة لا تكون قد

بررت وجودها.

وبالإضافة إلى ما تنقله التراجم من معنى، فيجب أن تنقل أيضا "روح النص الأصلي"، ذلك أن المعنى الحرفي يقتل الترجمة، ولكن روح المعنى يمنحها الحياة.

أهمية الترجمة في تقريب الثقافات

ولا يخفى أن الترجمة من لغة إلى لغة ثانية تعني خلق نوع من المثاقفة بينهما، من شأنه أن يسهم إسهاماً كبيراً في التقريب بين الشعوب والأمم. وهذا يؤدي بدوره إلى تواصل المجتمعات وقطع عزلتها، وفي هذا نفع كبير لكل البشر، إذ إن العبقريات وهي نادرة جداً، تكف عن أن تكون ملكاً خاصاً لشعب من الشعوب، بل تصبح ملكاً مشاعاً للبشرية كلها عندما ترى النور.

وقد ذكرنا من قبل أن الترجمة - بوصفها سبيلا من سبل التفاهم والتواصل اللغوي- نوع من النشاط البشري قام به الإنسان في مجتمعاته الأولى لتنظيم علاقته بجيرانه، وتأمين أغراضه وتدبير حاجاته، بسبب انسياح عناصر بشرية من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا، أو من جراء حركات الهجرة الفردية أو الجماعية العشوائية منها أو المنظمة، أو نتيجة المصادمات الحربية بين الشعوب والأمم، أو احتكاك الجماعات البشرية عن طريق القوافل التجارية، والتي يفترض أنه كان بها مترجمون يعرفون لغة من يتعاملون معهم.

يقول جان ديك حول الترجمة:

"الترجمة هي الوسيلة الوحيدة لتبادل ما عند الأمم من أفكار ومعارف وآراء في شتى الحقول الفكرية (علم - أدب - طب - فن - موسيقى - سحر - تنجيم - زراعة - صناعة - تجارة - إدارة - سياسة - فلسفة) ولنا على ذلك أكبر شاهد، الحركة التعريبية التي حدثت أيام الدولة العباسية بنوع خاص، إذ نقل علماء اللغة العربية عن اليونانية والفارسية والسريانية والهندية... معلومات كثيرة لم تكن معروفة بعد عند العرب، أو كما حدث في مطلع النهضة الأدبية الحديثة، ويحدث في يومنا هذا، من تبادل معلومات ومعارف بين مختلف اللغات بواسطة الترجمة، وقد كان لهذا التبادل الفكري والتمازج الروحي فوائدهما الجمة، فالترجمة إذا، ما هي إلا تمازج أفكار وتلاقي عبقريات وتبادل معارف، وكيف يمكن أن يتم هذا العمل الجبّار إن لم يستقص القائم به شوارد اللغتين، ويطّلع على دقائقها"(٤).

" يقول الدكتور مصطفي العبد الكفري عن أهمية الترجمة، وتأثيرها في التبادل بين الحضارات والثقافات المختلفة:

"الترجمة فعل ثقافي لغوي حضاري وهي الرابط بين الحضارات، والمترجمون رسل التنوير وخيول بريد التنوير، ومن قديم الزمان وحتى يومنا هذا لم تفقد الترجمة أهميتها أو ضرورتها أو فاعليتها، فهي الوعاء الذي تنقل من خلاله المعرفة من بلد إلى آخر ومن لغة إلى أخرى.

فالترجمة إذن هي نافذة فكرية ومدخل حضاري يضمن لهويتنا القومية المزيد من التواصل مع الآخر في كل مجالات إبداعه. ويقول بوشكين شاعر روسيا العظيم: "المترجمون هم خيول بريد التنوير" (٥).

" ويقول في موضع آخر وهو يدلي بالأضواء على أهمية الترجمة في التقريب بين الأمم وكأداة التواصل

بين الشعوب والحضارات:

"الترجمة فعلُ خيانة أصلاً وتذكّر ثانياً وتنوير ثالثاً: هي فعل خيانة، لأن النصّ المترجم يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً عن النص الأصلي. وهي فعل تذكّر، لأن المترجم يفعل هذا مع نصّ جيد على الأقل فيحييه في مكان آخر ولغة أخرى ووسط بيئة اجتماعية مختلفة. كما أنها فعل تنوير، لأن النصّ المترجم في لغته الجديدة ومكانه الآخر وبيئته المختلفة يقوم حتماً بدور رائد في وعي من يقرأه.

وتكتسب الترجمة مكانة هامة في مجال انتقال العلوم والفكر والأدب من مجتمع إلى آخر للأسباب التالية:

١- الترجمة محرض ثقافي يفعل فعل الخميرة الحفّازة في التفاعلات الكيماوية، إذ تقدم الأرضية المناسبة التي يمكن للمبدع والباحث والعالم أن يقف عليها ومن ثم ينطلق إلى عوالم جديدة ويبدع فيها ويبتكر ويخترع.

٢- تجسر الترجمة الهوة القائمة بين الشعوب الأرفع حضارة والشعوب الأدنى حضارة.

٣- الترجمة هي الوسيلة الأساسية للتعريف بالعلوم والتكنولوجيا ونقلها وتوطينها.

٤- الترجمة عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم والبحث العلمي.

٥- الترجمة هي الأداة التي يمكننا عن طريقها مواكبة الحركة الثقافية والفكرية في العالم.

٦- الترجمة وسيلة لإغناء اللغة وتطويرها وعصرنتها. (٦).

"ويقول أسامة طبش عن دور الترجمة في بناء الحضارات وإقامة الأسس القويمة بين أمة وأخرى، وبين شعب وشعب:

"علاقة الترجمة بالثقافة علاقة وطيدة جدًّا؛ فالثَّقافة هي العادات والتقاليد والمبادئ والقِيَم والأخلاق والموروث الشعبِي، وغيرها من المكوِّنات التي تُشكِّل عناصر أساسيَّة في ضمير الأمم وتاريخها وحاضِرها ومستقبلها أيضًا.

أمَّا الترجمةُ فهي: ذلك العلم الذي يرتبط أساسًا بالعامل اللُّغوي، والهدف منها ربطُ علاقاتٍ بين الشعوب والأمَم والتلاقح والتبادل الثقافي في عالَم أصبح اليوم قريةً صغيرة، لا بدَّ فيه من هذا التواصل في إطار احترام كلِّ أمَّة للأمَّة الأخرى لكيانها ومقوماتها الأساسيَّة (٧).

أهمية الترجمة:

فالترجمة على امتداد التاريخ كانت ركيزة من ركائز الحضارة وأساسا من أسس نهضة المجتمع البشري، فمع النهضة يزداد النشاط الترجمي ويزدهر. فللترجمة العديد من الدوافع والأهداف منها ما هو سياسي، أو ديني، أو ثقافي، أو اجتماعي، أو علمي.

أهمية الترجمة سياسيا: إنما تجريها إرادة سياسية واعية تسعى للحصول على أسباب القوة التي تملكها إرادة سياسية منافسة معاصرة لها أو سابقة عليها قد أورثتها أرضها وشعبها وبقيت صامدة أمامها بتراثها، مما اضطرها للاستفادة منه واستيعابه لتجاوزه، وهو ما نجده لدى كافة الحضارات التي كانت تستقي قوتها ودعائمها مما سبقها من حضارات أخرى.

أهمية الترجمة دينيا: هي التي تسعى إلى التعرف على الأديان الأخرى وفهمها بدقة، بهدف مهاجمتها أو الدفاع أمامها والمجادلة معها، أي بهدف التبشير أو الجدل الديني. كما هو الحال بين أتباع الأديان السماوية.

أهمية الترجمة ثقافيا: هي وسيلة لنقل المعارف والأجناس الأدبية، كما أنها مرآة للذوق الأدبي السائد في فترة ما في مجتمع معين، فهي وسيلة لمعرفة الآخر؛ لأن الرسالة خير معبر عن ذات صاحبها ونزعاته ودخائل نفسه. وهي وسيلة لاستيعاب المنجزات الفكرية والفنية للشعوب الأخرى. وهي بذلك تحقق هدفها الثقافي بالإضافة إلى كونها محققة للمتعة والبهجة النفسية في آن واحد.

أهمية الترجمة عمليا وتقنيا: فهي تهدف للاستفادة من علوم الآخرين ومعارفهم، ومحاولة إنشاء أعضاء مفقودة في الحضارة المتلقية، من خلال نقل التكنولوجيا والعلوم الأساسية التي ترتكز عليها أي حضارة. كما كان الحال بالنسبة للترجمة من اليونانية إلى العربية في أول عهد الدولة الإسلامية بالترجمة.

أهمية الترجمة على المستوى الاجتماعي: قد تكون الترجمة سبباً في بلوغ أصحابها مراتب عليا من السلم الاجتماعي في المجتمع، كما أنها عملية نقل للتقاليد والأعراف والأساطير بين الشعوب.

أهمية الترجمة على مستوى اللغة والاتصال: فمن أهم دوافع الترجمة، الرقي باللغة القومية، فهذه هي الغاية الأولى والأخيرة للترجمة، حيث تترك اللغة المنقول منها طابعها على اللغة الهدف؛ لأنها الوعاء الذي اُستخدم في عملية النقل (٨).

الترجمة وأهميتها عبر العصور

إن الترجمة والنقل من لغة إلى أخرى تحمل أهمية كبيرة عند الشعوب والناس، والمسلمون خاصة لما توسعت رقعة سيطرتهم أصبحوا ينقلون الثقافات القديمة قبل الإسلام من فنون وعلوم إلى اللغة العربية، وبسبب تطلعهم في العلوم التي لم تكن لديهم، وباختصار نقول إن الترجمة في العصر العباسي مرت بحقبتين: أولاهما من قيام الدولة العباسية إلى بداية عهد المأمون، وتشمل هذه الحقبة نشاطا كبيرا في ترجمة الطب والهندسة والفلك والطبعيات، وقد عرفت ذروتها في أيام أبي

جعفر المنصور وهارون الرشيد، أما الحقبة الثانية فتبدأ في عهد الخليفة العباسي السابع، المأمون، الذي أنشأ بيت الحكمة في بغداد، وتمتد هذه الحقبة حتى نهاية فترة خلافته.

ثم توقفت حركة الترجمة إلى العربية عمليا في عصور الانحطاط، وذلك بسبب توقف الاجتهاد اللغوي، وانحسار العربية وانغلاقها في قوالب محنّطة، غير أن النشاط الثقافي بما فيه حركة الترجمة، عاد إلى الحياة عندما بدأت العربية تجدد نفسها في القرن التاسع عشر الميلادي، في الفترة التي يطلق عليها اسم "عصر النهضة".

إن من ينظر إلى تاريخ الفكر العربي وتطوّره، يرى أن حركات كبيرة من الترجمة قد واكبت انطلاقة الحضارة الغربية الإسلامية، ابتداء من العصر الأموي، ومرورا بالعصر العباسي، لتبلغ عصر النهضة، ومن المعروف أن عصر النهضة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، قد شهد حركة كبيرة من التلاقح بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وذلك عن طريق تعليم اللغات الأجنبية في المدارس الرسمية والخاصة والإرسالية، وعبر إرسال البعثات للدراسة في الجامعات الكبرى بالدول الغربية، وكذلك عن طريق ترجمة الكتب الفرنسية والإنجليزية إلى العربية، وتعليمها في الدول العربية باللغة الأم، وكان لذلك دور كبير في حثّ الفكر العربي على متابعة التطور الهائل والسريع الذي عرفته قوالب المعرفة والتكنولوجيا في العالم المعاصر، وعلى الاستفادة من آخر الإنتاجات المعرفية، كما اضطلع بدور كبير في تطوير المنظومات الفكرية والثقافية في العالم العربي الحديث.

خلاصة القول: للترجمة أهمية كبيرة من حيث الدين، والثقافة، ونقل الأفكار والآراء وتبادل المعرفة من قوم إلى قوم، ومن بلد إلى آخر، وهناك ترجمت كتب كثيرة من اللغات المختلفة إلى العربية، وكذلك هنا في الهند علماء قاموا بتراجم كتب مهمة لعلماء ومفكري الهنود، وفي طليعة الذين قاموا بتراجم كتب مهمة، الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي، والشيخ نور عالم خليل الأميني، والأستاذ واضح رشيد الندوي، والأستاذ عارف جميل القاسمي، والأستاذ ساجد القاسمي وغيرهم، ولهم فهرس كبير ومساهمة كبيرة في نقل الكتب الأردية إلى العربية لعلماء ومفكرين كبار في الهند.

المصادر والمراجع:

١- الدكتور محمد أحمد منصور، الترجمة بين النظرية والتطبيق، مبادئ ونصوص وقاموس للمصطلحات الإسلامية، دار الكمال للطباعة والنشر، القاهرة، طبع ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.

٣- د .صفاء خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.

٤- جان الديك، دليل الطالب في الترجمة، مكتبة جبيب، الطبعة الجديدة عام: ١٩٨٤م.

٥- الدكتور مصطفى العبد الله الكفري، التواصل بين الشعوب بوساطة الترجمة، شبكة الألوكة، الرابط: http://www.alukah.net/cul-ture/0/62902/#ixzz4XHKvLUro.

٦- أسامة طبش، الترجمة، ودورها الحضاري المؤسس، شبكة الألوكة، الرابط:
http://www.alukah.net/cul-ture/0/87467/#ixzz4XHTRAhYi.

٧- د.عامر الزناتي الجابري، مقدمة في علم الترجمة، المستوى الرابع، الفصل الدراسي الثاني: ١٤٣٠/١٤٣١م، جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، قسم اللغات الآسيوية والترجمة برنامج اللغة العبرية.

مكتبة مكة المكرمة
وفرة المصادر وندرة المخطوطات

إعداد: عبدالله حسين

مكتبة مكة المكرمة من أهم المعالم التي تشد انتباهك عند خروجك من باب السلام بعد أداء المناسك في البيت الحرام، حيث تقع المكتبة في الجهة الشرقية من وادي إبراهيم الخليل؛ ويُجمع المؤرخون أن موقعها يُعدُّ داخل شعب بني هاشم؛ ويُعرف مكان المكتبة تاريخيًّا ومحليًّا بين المكيين بالمولد النبوي الشريف؛ فقد شهد مكانها ميلاد الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما ذكرت المخطوطات أن هذا المكان كان يقع به دار عبدالمطلب التي قسمها بين أولاده، ومن بينهم عبدالله والد الرسول، صلى الله عليه وسلم.

ويرجع الفضل لله ثم لجلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله، الذي أصدر أمره ببناء مكتبة عامة في مقر المولد النبوي الشريف حتى تكون مرجعاً للعلماء وطلاب العلم من شتى أقطار العالم الإسلامي.

وتكتسب المكتبة أهميتها التاريخية والحضارية من موقعها، وكذلك لاحتوائها على عديد من الكتب والمخطوطات النادرة، وللجهود المستمرة في خدمة طلاب العلم والباحثين عن المعرفة، وكونها المكتبة الوحيدة التي تقع الآن في ساحة الحرم المكي الشريف.

مبنى المكتبة

يتكون مبنى المكتبة من دورين متواضعين في شكل

مستطيل، طوله من الشرق للغرب ٢٤ مترًا، ومن الشمال للجنوب ١٣ مترًا، بارتفاع عشرة أمتار، وللمبنى ثلاث واجهات:

الواجهة الرئيسة من الناحية الغربية مواجهة للحرم الشريف، أما الواجهتان الأخريتان - الشمالية والجنوبية - فتطلان على ما حولهما بنوافذ خشبية. وللمبنى مدخل رئيس من الناحية الغربية، ومدخل فرعي من الناحية الشمالية، وأقيم البناء الحالي للمكتبة على أُسس البناء القديم وتنظيمه، الذي ربما يعود تاريخيًّا للقرن العاشر الهجري.

ويحتوي المبنى على أربع غرف في جوانبه الأربعة، مربعة الشكل، تتوسطها قاعة كبيرة، أما الدور الثاني فهو على نسق الدور الأول، وتمتد فيه أربعة ممرات مُطلة على القاعة الكبرى، والمبنى الحالي مشيَّد بالإسمنت، وجداره مبني بالحجر والطوب الآجر.

قصة بناء المكتبة

ذكر الأستاذ محمد علي المغربي في كتابه "أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة" أن الشيخ عباس قطان تمنى أن يقيم في هذا المكان مكتبة عامة، واتفق مع أصهاره آل الكردي أن يشتري منهم المكتبة الماجدية، وهي من أثمن المكتبات الخاصة، وينقل محتوياتها إلى هذه الدار، صيانة للموضع الذي ولد فيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وكانت العقبات التي واجهها الشيخ عباس قطان لتحقيق هذه الأمنية الكبيرة كثيرة، ولكنه استمر في محاولاته تلك دون كلل أو ملل، فاستطاع أن يحظى بموافقة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز، بالسماح له بإقامة المكتبة. وما إن حصل الإذن من جلالته بإقامة المبنى حتى سارع باتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك عام ١٣٧٠هـ وسلمت إلى وزارة الحج والأوقاف، وهي مفتوحة للجميع.

وتتابعت العديد من الجهات في تولي الإشراف على مكتبة مكة المكرمة، ففي الفترة بين عامي ١٣٧٠ - ١٣٨٠هـ / ١٩٥٣ - ١٩٦٣م، كانت المكتبة تابعة إداريًّا لوزارة الإعلام، وتولى إدارتها في تلك الفترة الشيخُ محمد قاسم حريري. ومن عام ١٣٨٠ إلى ١٤١٤هـ / ١٩٦٣ - ١٩٩٣م أصبحتْ تابعةً إداريًّا لوزارة الحج والأوقاف، وتولى الشيخ محمد رشيد فارس إدارتها، ثم الشيخ عبدالمالك بن عبدالقادر الطرابلسي الذي تولى إدارتها عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م. وفي عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صدر الأمر الملكي بإنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ حيث أصبحت مكتبة مكة المكرمة تابعة لإدارتها مباشرة.

مقتنيات المكتبة

يقصد المكتبة الأساتذةُ والباحثون في الجامعات، لتوفر المصادر النادرة، ونمو مجموعاتها ومقتنياتها من المخطوطات بشكل مستمر، كما يكثر زوارُها من الباحثين من المواطنين والمقيمين والحجاج والمعتمرين؛ لقربها من الحرم المكي الشريف.

وتحتوي المكتبة على كثير من المجموعات والمخطوطات؛ حيث تضم مجموعة من أهم المكتبات الخاصة لبعض المشاهير من أعلام المكيين من العلماء والأدباء في القرن الرابع عشر الهجري؛ حيث يبلغ تعداد هذه المكتبات ما يربو على عشر مجموعات متفاوتة في الحجم والأهمية، ولكل مكتبة قاعة خاصة تحمل اسم صاحبها.

وتتميز المجموعات الخاصة بأنها تشمل أكبر مجموعة من الكتب التراثية في طبعاتها الأولى، كما احتوت على مجموعة كتب مطبوعة في بلاد إسلامية مختلفة، بالإضافة إلى احتوائها على مجموعات نادرة تعود طباعتها لقرن أو أكثر، وكل مكتبة تمثل شخصية صاحبها العلمية أصالة؛ لذا يجد فيها الباحث تنوعًا علميًّا وفكريًّا.

الصحف والدوريات

كما تحوي المكتبةُ عدداً من الصحف والدوريات المحلية والعربية والإسلامية النادرة، التي تستمر في صدورها حتى الآن، وكذلك التي توقَّف صدورها، ولا تزال مجموعات المكتبة ومقتنياتها تتضاعف إلى اليوم، كما تم تزويد المكتبة بنسخة كاملة مصورة على الميكروفيلم لجميع المخطوطات التي تحتفظ بها، ويسهم الكثير من المواطنين من أبناء مكة وغيرها في تنمية المكتبة، بالإضافة إلى ما تمدها به الوزارة من مشتريات وكتب مهداة، كما يتبرع لها كثيرون بالكتب والأدوات والأثاث المكتبي.

الفهرسة الإلكترونية

وتمثل فهارس المجموعات الخاصة المصادر والمؤلفات التراثية والحديثة في العلوم الشرعية والعربية والتاريخية، والرياضية والفلكية والطب، ولكنها فهارس قديمة التصنيف، غير دقيقة من حيث العدد والتصنيف الموضوعي والفهرسة الوصفية، ولذا فقد ظلت الفهرسة الصحيحة الكاملة لمحتويات المكتب أمنية الباحثين، حتى قام عباس صالح طاشكندي، أمين المجلس العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز سابقًا، وعميد المكتبات بها، باقتراح إدخال نظام الحاسب الآلي لفهرسة المحتويات، فبدأ العمل في مشروع الفهرسة، واستكتب لإنجاز المشروع خمسة عشر دارسًا من أقسام الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، واستمر العمل ستة أشهر، وبهذا تكون مكتبة مكة المكرمة أول مكتبة عامة في الحجاز تعمل على إدخال نظام الحاسب الآلي والإفادة منه.

مخطوطات المكتبة

تنال المخطوطات بالمكتبة عناية خاصة؛ حيث تم تجليدها صيانة لها من التمزُّق والضياع، وتعود ملكية معظم هذه المخطوطات إلى علماء مكة وفقهائها في القرن الرابع عشر، ومن أهمهم الشيخ محمد ماجد الكردي، والشيخ عبد الحميد قدس، والشيخ علي بن حسين المالكي، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله.

كما تحتفظ المكتبة ضمن فهارسها القديمة بفهرس خاص للمخطوطات، وقد حصل مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى على ترخيص من وزارة الحج والأوقاف بتصوير مخطوطات المكتبة على الميكروفيلم، وأصبح المتوفر من البطاقات الخاصة بالمخطوطات كمًّا كبيرًا غير مبوب ولا مصنف، ولذا فقد أصبحت الحاجة ملحة لجهود المتخصصين لتصنيف المخطوطات، فتكونت لجنة من أساتذة من جامعة أم القرى، ضمت مجموعة للدراسات الشرعية وأخرى للدراسات العربية، ومجموعة للدراسات التاريخية والحضارية، وعمل الجميع فريقًا واحدًا في نهج التنظيم والتبويب، وتم الانتهاء من هذا العمل في شوال ١٤١٢هـ / أبريل ١٩٩٢م، ويبلغ عدد البطاقات ألفين وثماني وتسعين بطاقة، تمثل عناوين المخطوطات.

وتتميز مخطوطات المكتبة بأنها ضمت أكبر قدر من مؤلفات علماء مكة، من محدِّثيها وفقهائها ولغوييها وأدبائها ومؤرخيها، وأن منها المدون بخط المؤلفين أنفسهم، خاصة مؤلفات العلماء المكيين في القرن الرابع عشر الهجري، والبعض منها قام بنسخه علماء مكة بأيديهم؛ مثل منسوخات الفقيه الشيخ جعفر لبنى، والمؤرخ الشيخ أحمد الحضراوي، كما حوت عددًا لا بأس به من المخطوطات المنسوخة بالخط الأندلسي والفارسي.

ويحتفظ قسم المخطوطات بنسخ خزائنية ذات زخارف بديعة، ورسم يدوي مذهَّب لبعض الآثار الإسلامية بمكة المكرمة، ومن الناحية الموضوعية فقد شملت كل حقول المعرفة الإسلامية النظرية والتطبيقية، وتحوي المكتبة ٢٧ ألف كتاب، ومئة رسالة جامعية، و١١٥ عنوان دورية.

ابن حزم الأندلسي

عبقرية لم تبدد وهجها الأيام

بقلم: عبد الحميد محمد الراوي
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية

كان للمرحوم الدكتور ظافر القاسمي ندوة ثقافية جامعة عرفت له، كانت تبثها فضائية عمان الأردنية، وكانت الندوة تدور حول موضوع واحد ويتحلق حولها كبار الأدباء والأعلام في عصره، فتتناول علماً من أعلام الأدب والفكر، مشيرة إلى علمه ودوره في إغناء الحياة الإنسانية، أو تتناول كتاباً مشهوراً فتضيئ كل جوانبه وظروف تأليفه وقيمته التي تفيد الأجيال، وكانت ندوة كتاب طوق الحمامة لابن حزم التي قدمت على حلقتين وشارك فيها مجموعة من الأساتذة، حيث أضاء كل واحد من المشاركين منحى من مناحي الكتاب وأبوابه، كما أضيئت حياة ابن حزم ونشأته وتكوينه والظروف التي أحاطت به، ودوره في الحياة السياسية الأندلسية، وما تعرض له وأصابه من الفتن.

فمن هو ابن حزم وما هي مؤلفاته وما أسباب شهرته وذيوع اسمه في الأدب والفقه والتاريخ والأخلاق، وعلم النفس وما الذي جعل (طوق الحمامة) يترجم إلى أكثر اللغات الحية ويطبع عشرات الطبعات، بل مئاتها؟

ابن حزم الأندلسي

عُرف ابن حزم باسم جد أبيه حزم، وكان اسمه علياً وأبوه أحمد بن سعيد وكنيته أبو محمد، ولد في قرطبة في الأندلس سنة ٣٨٤هـ • ٩٩٥م وتوفى سنة ٤٥٦هـ -١٠٦٣م أي عاش حوالي سبعين سنة مليئة بالعلم والتحصيل والتأليف والحركة، حتى صار علماً ونجماً في بيئة تُعلي العلم والمناظرة، وما زال اسمه وعلمه يتردد على الألسنة، وتحدثنا كتب الأدب أنه نشأ في بيت عز وعلم وجاه، فأبوه كان من أعيان قرطبة، وكان وزيراً في الدولة العامرية، فرضع الولد من أبيه لبان هذا المجد، وعاش شبابه الأول في أحضان هذه النعمة، وأقبل على العلم والأدب والشعر، حتى صار شاعراً وكاتباً وأديباً وفيلسوفاً وفقيهاً.

وكان قد أخذ المنطق عن محمد بن حسن القرطبي، وأخذ الحديث عن يحيى بن مسعود، وأخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، وقد اجتمع عند ابن حزم بخط أبيه محمد ومن تأليفه أربعمائة مجلد تشتمل على ما يقرب من ثمانين ألف ورقة.

جاء في الأعلام للزركلي: أن ابن حزم هو عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، وكان في الأندلس خلق كثيرون ينتسبون إلى مذهبه يقال

لهـــم (الحزمية)، وكانت له ولأبيه قبلة الوزارة وتدبير المملكـــة، فزهد بها وانصرف إلـــى العلم والتأليف، فكان فقيهاً حافظاً يســـتنبط الأحكام من الكتاب والســـنة بعيداً عن المصانعة، وقد انتقد كثيراً من العلماء والفقهاء.

يضيف صاحـــب الأعـــلام: فتمالؤوا علـــى بغضه وأجمعـــوا علـــى تضليله، وحذروا ســـلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردتـــه، فرحل إلى بادية لبله (مـــن بلاد الأندلس) وتوفي بها.

وفـــي مجال تحصيلـــه وعلمه وعلو شـــأنه، يحدثنا الدكتور فـــاروق حمادة في تقديمـــه لكتاب (منهج الاستدلال الفقهي عند ابن حزم وابن عبد البر) من تأليف الدكتور محمد مطر ســـالم، وهو في الأصل رســـالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه قبل عقد من الزمن، بإشـــراف الدكتور فاروق حمـــادة، قال تلميذه أبو عبد الله الحميدي: كان ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه، مســـتنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متقناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه.

مـــا رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وســـرعة الحفظ وكرم النفـــس والتديـــن، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعه على حروف المعجم.

ابن حزم الإنسان والأديب

ويحدثنا الدكتور حمادة عن قيمة ابن حزم الإنسانية والأدبية وطريقته التي رســـمها لنفســـه فيقول: وترقى ابن حزم في سلم العلم والمعرفة، حتى أصبح قمة إنسانية عظمى تفتخر بها الأجيال وتستضيئ بعطائها الأمم والشعوب المسلمة وغير المسلمة، ومما نقل عنه من شعر:

مُناي من الدنيا علوم أبثها
وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي
تناسى رجال ذكرها في المحاضر
وألزم أطراف الثغور مجاهداً
إذا هيعة ثارت فأول نافر
لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر
بسُمر العوالي والرقاق البواتر

ويشـــير الدكتور محمد مطر الكعبي في رســـالته القيمة منهج الاســـتدلال الفقهـــي عند ابن حزم وابـــن عبد البر، طبـــع (٢٠١٠م) إلى نباهة وشـــهرة ابن حزم منـــذ ولادته، حيث ســـجلت ولادته باليوم والشـــهر والســـاعة والمكان، وذلك لنباهـــة البيت الذي نشـــأ فيه وعاش، فكان من بيت (وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة)، وذكر الدكتور الكعبي شيوخه ومنهجـــه وعلمه وأشـــهر تلاميذه، عارضـــاً لحياته المليئـــة بالعلم، والتي رافقت مـــا وقع في الأندلس من اضطراب وحركات عصيان، ولكن على الرغم من ذلك فقد ازدهرت الحيـــاة العلمية والأدبية والفكرية فيها فأنجبت لنـــا كوكبة من الأعـــلام كابن عربي، والشاطبي، وابن رشد، وابن عبد البر، وأنجبت لنا من الشـــعراء ما ذاع ذكرهم في الآفاق من شرق وغرب كابـــن هانئ، وابن زيدون، ولســـان الدين بن الخطيب، وغيرهـــم، حيث لم يؤثـــر هؤلاء وأولئـــك في الحياة الأندلسية وحدها أو في الحياة العربية، وإنما ما زالوا يؤثرون في حركة الأدب والشـــعر العالمي، ويشكلون منهلاً للأجيال المتعطشة إلى المعرفة في كل حين.

ابن حزم مفكراً وأديباً

مـــن يتتبع فكر وأدب وتأليف ابن حزم ســـيجد مدى دقـــة هـــذا العالم الفقيـــه في بحثه واســـتقرائه وتحليله للظواهـــر والمواقف والآراء، فهو يســـتقرئ ويحلل ويعمل الرأي درساً وبحثاً لا ليصل إلى نتيجة،

بل ليؤكدها بعد أن قدمها خلاصة ورأياً وفق منهج تحليلي منطقي، ووفق نظر وتأمل في الدلالات السلوكية والنفسية.

وقد تجلى ذلك في دراسة لظاهرة العشق في كتابه (طوق الحمامة) التي هي ظاهرة عالمية فيما هي خبرة شخصية يمر بها البشر ويلامسون أو يعيشون معانيها، وحيث تظل في الغالب محصورة في الإطار الشخصي، ينقلها ابن حزم إلى باب العلم والأدب، ويعرف بكل أبعادها ومعانيها، ويدقق في الأسباب والدوافع والانفعالات والمواقف، ويقدم تحليله العلمي وقد وظف لها الحكاية والخبرة والقراءة الهادئة المستقصية.

ويمكن معرفة مدى أهمية بحثه وريادته فيه من مقدار الاهتمام الذي أولاه الشرق والغرب (لطوق الحمامة) وعدد طبعاته وتحقيقاته، وعدد اللغات التي تترجم إليها والدراسات المقارنة التي وضعت عنه، وانعكاسات موضوعاته وقصصه وتأثيره في الفنون الإنسانية كلها، بين رواية ومسرح وشعر وسينما وعلم نفس وعلم اجتماع، حتى صار مثلاً في المحافل والأمكنة، وصار أثراً عالمياً، وهو ما لم يقيض لغيره من الكتب.

فهل كان ابن حزم ظاهرة أم استثناء؟ وفي رأيي أن ابن حزم وظاهرته هما نتاج تفاعل حضاري عربي نشأ من تلاقح وتفاعل وحوار الحضارة في بيئة خصبة وحية مكنت ابن حزم وعبقريته من أجل أن تعطي ما أعطت وتنتشر في أرجاء الكوكب.

مؤلفاته وكتبه

تبلغ كتب ابن حزم ومؤلفاته العشرات منها المطبوع ومنها المخطوط، ففي المطبوع والمترجم إلى أكثر اللغات (طوق الحمامة)، وفي المجالات المختلفة التي يأتي في مقدمتها الفقه ألف كتاب (المحلى) في أحد عشر مجلداً. ويعدد الدكتور الكعبي لابن حزم تسعة عشر كتاباً مطبوعاً منها (الإحكام في أصول الأحكام • والمفاضلة بين الصحابة • ومراتب الإجماع • وملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل • والنبذ الكافية في أحكام أصول الدين • وكتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة

الفقهيــة - وكتــاب الأصول والفــروع- والرد على الكندي الفيلسوف - ورســالة في فضل الأندلس وذكر رجالاتها - وكتــاب الفصل في الملل والنحل - وجمهرة أنساب العرب - والسيرة النبوية المعروفة بجوامع السيرة).

ومــن كتبــه المخطوطة كتــاب الإعراب عــن الحيرة والالتبــاس - والدرة في تحقيق الــكلام - وديوان ابن حزم - وكتاب ابن حزم في الجدل، وغيرها، وعُدّ له من الكتب المفقودة ثمانية عشــر كتاباً منها، الخصال الحافظة لجمل شــرائع الإســلام - وقسمة الخمس في الرد على إســماعيل القاضي - والتلخيص في المســائل النظرية مــا انفرد به مالــك وأبو حنيفة والشــافعي - والإملاء في قواعد الفقه - ومراتب العلماء وتواليفهم.

طوق الحمامة

اعتمد ابن حزم في تأليف كتابه (طوق الحمامة في الأُلفــة والأُلاف) خطة ومنهجاً هــدف منهما إلى تقديم رسالة ورسم له طريقة في التأليف مستفيداً من الحكاية والحادثة والخبرة والنادرة، والمثل والشــعر والنكتــة (وضعــه وكان في الرابعــة والثلاثين من العمــر)، وقد وصف أحد المحققين ما تضمنه الطوق بأنه سمع منه ما لم يسمع، ونظر ما لم تنظر عين، وأشــار إلى خاتمته على أناه ربع الرسالة، وهي تشبه بذلك مقدمة ابن خلدون من حيث الأهمية والطول وما أراده منها.

ويقول عبد الرحمــن المصطاوي عن هذه الخاتمة، وإذا علمنا أنها تنطوي علــى بابين، باب (قبح المعصية) وباب (فضل التعفف) فهــذا الذي يريده أبو محمد بن حزم صاحب الطوق، ويرى أن تأليف الكتاب ليس من باب الترف الفكري الذي عــم الأندلس، وإنما هو للأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال موضوع حير الشعراء والفلاسفة.

ويــرى محقق الكتــاب كما رأى آخــرون غيره أن ما وصلنا من كتــاب (طوق الحمامة) إن هو إلا مختصر من الكتاب، وأن رســالة ابن حزم في الأساس لقيت الكثيــر من الإهمال، ولم يكــن يذكرها المؤلفون إلا في آخر مؤلفاتهم، وأشار إلى أن للعنوان دلالة على العلاقة بين الجمال والألفة، ورسالة (طوق الحمامة) بين رســائل العشــق وأحــوال المحبين مثــل الطوق بالنســبة إلى الحمامة، وزينة الطــوق عند الحمامة جمال حظيت به بدعاء نوح عليه السلام في (قصة الطوفان) لما رجعت إليه بالبشارة أن غاض الماء وبدا من الأرض شيء، وإنما أعطيت الحمامة الطوق لحسن الدلالــة والطاعة، والطاعة مهمة في عالم الألفة والأُلالف.

ويذكــر المؤلف أنــه عثر على رســالة بعنوان (طوق الحمامة) للإمام الســيوطي، وهي رســالة طريفة دعاه إلى تأليفها سؤال سُئله، هل ورد أن رجلاً شكا إلى النبي الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام؟

والسيوطي توفي سنة ٩١١ه أي بعد ابن حزم بأربعة قــرون ونصف، ويســوق المحقق قصصــاً عن حكاية الرسالة وترجمتها إلى الفرنسية والإنجليزية وغيرها من اللغات.

وقد كتب ابن حزم رســالته استجابة لسؤال صديق عزيــز عليه من المريــة، فضمنها إشــارات تاريخية واجتماعية ووصفية وبيئية، وتفســيرات نفســية بأسلوب مشرق ولغة صافية، ويحدد ابن حزم غرض الرســالة فهي (في تصنيف صفــة الحب ومعانيه وأســبابه وأعراضــه وما يقع فيه وله على ســبيل الحقيقة).

وهو يلتــزم جانب الحقيقة في دراســته للحب فلا يسعى إلى الخيال، وذكر آرائه وتجربته.

وقال في مقدمته: إنه ســيضرب صفحاً عن أخبار

الأعراب فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الأخبار عنهم، ومع ذلك فقد سرد بعض أخبارهم، وقد قسم الرسالة إلى ثلاثين باباً، عشرة منها في أصول الحب، واثنا عشر باباً في صفاته وأعراضه المحمودة والمذمومة، وستة أبواب في الآفات الداخلة على الحب، وبابان خاتمة للرسالة.

والكتاب في مجمله يمثل نظرة الفكر الإسلامي إلى عاطفة الحب في نظرة تحليلية، وفي التحقيق وصف للطبعات العربية للكتاب والترجمات إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والطليانية والروسية والإسبانية، مع تحقيقها وسنوات طبعها وترجمتها، لكن لا توجد إحصائية حقيقية ودقيقة يمكن الركون إليها في عدد الطبعات وعدد النسخ وأماكن تداول الكتاب عالمياً ودولياً.

الرقباء والعذال

من طرائف أبواب الكتاب باب بعنوان (الرقيب)، يعدد فيه الرقباء والعذال ويعتبرهم من آفات الحب، كما نعتبر نحن اليوم الفيروسات من آفات الكمبيوتر، أو الحاسوب، بل ويصف ابن حزم الرقيب بالمرض، فيقول إنه لحمى باطنة وبرسام ملح، أي التهاب في الغشاء المحيط بالرئة، وفكر مكب، ويصف الرقيب شعراً فيقول:

يطيل جلوساً وهو أثقل جالس
ويبدي حديثاً ليس أرضى فنونه
شمام ورضوى واللكام ويذبل
ولبنان والصمان والحزن دونه

ويتضح ثقل الرقيب وغلاظته من أسماء الجبال وتشبيهه بها في البيت الثاني، ويقول في موضع آخر:

مواصل لا يغيب قصداً
أعظم بهذا الوصال غماً
صار وصرنا لفرط ما لا
يزول كالاسم والمسمى

أما عن موقفه من الجمال العفيف ووصيفه فتراه في شعر له يتحدث فيه عن جارية عاش صباه معها، غاب عنها ثم عاد بعد سنوات فرآها على ما هي عليه من الجمال فقال:

خريدة صاغها الرحمن من نور
جلت ملاحتها عن كل تقدير
لو جاءني عملي في حسن صورتها
يوم الحساب ويوم النفخ في الصور
لكنت أحظى عباد الله كلهم
بالجنتين وقرب الخرد الحور

ويتابع حكايته مع الجارية والدار التي رآها فيها فيقول: ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً على لُبي أن يزدهيه الاستحسان، لقد كانت هي وجميع أهلها ممن لا تتعدى الأطماع إليهن، ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل وفي ذلك أقول:

لا تُتتبع النفس الهوى
ودع التعرض للمحن
إبليس حي لم يمت
والعين باب للفتن

آداب الإسلام

ومن رسالته في نهاية طوق الحمامة إلى صديقه قوله في الأدب الإسلامي، ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

حتى يقول ومن أدى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم المنهي عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس، فقد وقع عليه اسم الاستحسان، ودعني من سوى ذلك وحسبي الله.

من رحلة الطائف إلى معجزة اللطائف

بقلم: الزهراء عبد الحميد محمد عبد الحميد
كاتبة وباحثة تربوية

اقتربت الدعوة إلى الإسلام من عامها العاشر والرسول محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهراني مكة، ما خلد إلى الراحة والدعة ولا استسلم للإحباط من فرط ما لاقاه هو وأصحابه من أهلها سخرية واستهزاء وصدوداً وعناداً ومقاطعة وإيذاء.

وماتت الزوجة الوفية المعوانة له على تبليغ دعوته ـ السيدة خديجة رضي الله عنها ـ وهي التي وصفها رسول الله بقوله (آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء) (رواه أحمد)، فاستحقت بجدارة التحية من رب العالمين، ونزل جبريل الأمين على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال له (إذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)، رواه البخاري.

ومن قبلها بقليل مات عمه أبو طالب الذي أخذ على نفسه عهداً ألا يُسلم رسول الله لشيء يكرهه، وبذلك شهد له الرسول الأكرم إذ قال (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب) (السيرة النبوية لابن هشام). نعم لقد قست قلوب أهل مكة وغلظت بل وأقفرت كأنها الصخر وأصبح حالهم آنذاك أشبه بقوم نوح عليه السلام عندما قال عنهم رب العالمين (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) هود ٣٦.

رحلة الطائف

وحينئذ لم يكن بد من أن ينطلق الرسول الكريم إلى أرض جديدة يبلغ فيها دعوة الله، ويجد له متنفساً بعيداً عن ذلك الجو الخانق والمشحون بالعداوة والتربص له ولدعوته.

وإذا به يتطلع إلى مدينة الطائف وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من مكة على بعد خمسة وسبعين ميلاً وتسكنها قبيلة ثقيف ذات المكانة الرفيعة التي تقارب مكانة قريش لعله يجد آذاناً صاغية لدعوته وقلوباً واعية لرسالته، فيجد من بينهم النصرة على قريش أخذاً بالأسباب والوسائل وتخطياً للحواجز والسدود.

وتبدأ الرحلة المباركة من أجل استمرارية الدعوة إلى الله سيراً على الأقدام مسيرة أربعة أيام. الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه مولاه زيد بن حارثة، وبعد جهد جهيد - ومشقة وعناء - حسبة لله وأملاً في رضاه يصل إلى الطائف فتوجه إلى أشرافها فبلغهم كلمة التوحيد وأعلمهم بدعوته وطلب نصرته على من خالفه وآذاه من قومه.

لكنهم من سوء حظهم وبلادة عقولهم أجابوه بمنكر من القول وزوراً، فطلب منهم أن يخفوا مجيئه إليهم فرفضوا وقرروا الإيذاء به فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يقذفونه بالحجارة ويسبونه حتى سال الدم من قدميه الشريفتين.

درس مستفاد

ومهما يكن من أمر هذه النتيجة إلا أنها ستظل علامة بارزة في مسار الدعوة الإسلامية يجب أن يلتفت إليها الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، وهي ضرورة اجتياز العقبات وتخطي الحواجز والأوطان، والعمل المتواصل من أجل انتشار الدعوة وتبليغها دون نظر إلى نتائج، فالنتيجة على الله تعالى، وما علينا إلا العمل وبذل الجهد والتفكير دائماً بالانطلاق بالدعوة إلى آفاق رحبة وأرض جديدة دون يأس أو إحباط ونحن على ثقة بوعد الله ونصره (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء) (يوسف ١١٠).

يوم أشد من يوم أحد

وأعود إلى السياق لأقف في تأمل أمام ما تحمله شخص الرسول الكريم في سبيل الدعوة إلى الله وفى يوم الطائف بالذات فنجد في كتب السنة الإجابة الشافية، نسوقها هنا لتبصير الذين يسلكون سبيل دعوة رسول الله، فإذا ما اشتد الكرب عليهم وضاقت عليهم الأرض وحاق بهم مكر جحافل الظلم، يتذكرون ما وقع لرسول الله من أذى فيثبتون ولا ينكصون، ويواصلون السير رغم الجراح والقروح تماماً كما فعل رسول الله مع أصحابه في غزوة حمراء الأسد صبيحة يوم أحد فاستحقوا أن يتنزل فيهم قرآن يتلى حتى تقوم الساعة، يخلد فيها هذا الموقف الرائع ويقرر لهم الأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (آل عمران ١٧٢).

وتماماً كما حدث يوم الطائف وما انثنى عود الدعوة إلى الله ولا فترت همة رسول الله رغم هول اليوم وشدته، فقد ثبت في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة أنها قالت يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال ما لقيت من قومك إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بالطائف فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

اللجوء إلى الله

وقبل أن أتم الحديث النبوي الشريف أعود لأقف متسائلاً ماذا كان من أمر الرسول صلى الله عليه

وسلم أمام ما لاقاه من عنت وإيذاء سال فيه الدم.

لم يكن إلا اللجوء إلى الله في استجاشة حارة وضراعة خالصة وتفويض الأمر كله لله يتصرف فيه كيف يشاء، ولم تكن تشغله آنذاك آلام الجراح ولا نزيف الدماء، ولا الأسى النفسي أو البدني، ولكن كما صور هو صلوات الله وسلامه عليه (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك) (بن هشام ١/ ٤٢٠).

وإذا بالمنتقم يتولى الأمر ويدبره ويرسل إليه ملك الجبال على نحو ما تقدم ويأمره أن يطيعه في قومه ولو شاء لأطبق عليهم الأخشبين وهما جبلان عظيمان بمكة.

فهل آن للداعين إلى الله خاصة وإلى أولي الأمر عامة أن يكون ذلك رائدهم فيكون اللجوء إلى الله غوثهم وعدتهم وحذار من التعلق بغير الله، ولنسمع في تدبر إلى قول الحق سبحانه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (العنكبوت ٤١).

وتوالت اللطائف الربانية

وهكذا مع الاعتصام بالله وطلب الحماية منه سبحانه، وتفويض الأمر لذاته العلية، توالت اللطائف الربانية على سيدنا رسول الله على النحو التالي:

أولاً: فهذا جبريل الأمين ينزل على عجل ليبلغ الرسول الكريم القرار الرباني المهم (وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)، ثم ينفذ الأمر ملك الجبال فينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغه القرار (أنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت وإن شئت أطبق عليهم الأخشبين) فقال رسول الله بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً. (عمدة القاري، شرح صحيح البخاري).

يا لروعة تلك الإجابة النورانية المحمدية، حقاً إنه صاحب دعوة يريد تبليغها للناس، ولو أبيد القوم فمن أين الروافد التي تحمل تلك الدعوة إلى آفاقها؟ وإذا كان الآباء من ذوي القلوب الغلف والآذان الصم والأعين العمي على نحو أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف فإن في الدنيا والأحفاد في ظهر الغيب الأمل المرتقب، وبالفعل ترددت تلك الإجابة في الأصداء واستجابت لها السماء وإذا بالفتح المبين يأتي ويدخل أهل مكة في دين الله أفواجاً.

وإذا بالأحفاد والأبناء يحملون الإسلام إلى الدنيا كلها ويتسابقون إلى المبايعة على الموت وطلب الشهادة من أمثال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد.

ثانياً: وكانت الطبقة الثانية مع هذه الظلمة الحالكة السواد ينبلج النور وتتردد كلمة التوحيد على لسان عداس حارس البستان الذي آوى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من فرط ما ناله من جهد ونصب، وأكب عداس على الرسول يقبل رأسه وقدميه ويا لها من لحظات أو ومضات من نور، أن يسمع رسول الله بعد هذا الصدود والنكران ما يردد من كلمة التوحيد، وهل كانت رحلته إلى الطائف إلا من أجل ذلك؟

إذن لقد نجحت الرحلة وحققت أهدافها فالمهم الكيف لا الكم ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها فهل نتأمل؟

ثالثاً: أما الثالثة فقد كانت أكثر رحابة وسعة

بالنسبة لرسالة الإسلام، إذ كانت دليلاً على أن الإسلام ليس فقط هو الرسالة الخاتمة، بل هو أيضاً الرسالة المبلغة للإنس والجن سواء بسواء.

فلقد روت كتب السيرة أن الله سبحانه وتعالى قد صرف إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه وقالوا (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) (الأحقاف ٣١)، وهل بعد ذلك فتح؟ يُطب قلب رسول الله ويفتح له مجالات جديدة لدعوة الإسلام؟ نعم إنه ثمرة تفويض الأمر لله مع الأخذ بالأسباب وحين ذاك يكون المدد الرباني على نحو ما رأينا.

رابعاً: أما اللطيفة الرابعة فأمهد لها بطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ثقيف أن يخفوا أمره عن قومه وقد رفضوا الدعوة لكنهم لم يستجيبوا وما أشق الموقف على رسول الله، وكيف يدخل مكة التي علم أهلها بالرحلة ونتيجتها التي لم تكن على ما يرجو، وهو الذي مكث في الطائف عشرة أيام بخلاف الوقت الذي أمضاه في مسيرة الرحلة ذهاباً وإياباً، إذن هو قد غاب عن مكة وهم على شوق لمعرفة الخبر وهم في حالة تحفز وانتظار، وإذا بالمولى سبحانه وتعالى يلهمه صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة في جوار المطعم بن عدي ـ هو لم يزل على ملة قومه وينام عنده ـ حتى إذا أصبح الصباح يخرج معه وإلى جواره بنية تقلد السيوف ويدخلون المسجد الحرام، ويقول المطعم للرسول صلى الله عليه وسلم طف ويمسك هو وأولاده السيوف حماية له ـ فجاء أبو سفيان بن حرب ـ ولم يكن قد أسلم بعد وأقبل على المطعم بن عدي فقال له أمجير أم متابع؟ قال بل مجير، فقال إذن لا تخف.

يا الله هذه مكة التي أقفرت من الخير فراح إلى الطائف يلتمس أرضاً جديدة يعود إليها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه في جوار واحد من صناديدها وهو على شركه. نعم أيها الدعاة إلى الله إنها اللطيفة الرابعة فقد ينصر الله هذا الدين بالرجل الكافر.

معجزة الإسراء قمة اللطائف

ما إن هدأ القلب الموصول بالله سبحانه، قلب النبي محمد من آثار عام الحزن وما لاقاه في الطائف على نحو ما قدمنا من لطائف إلا وقد أعد الله العزيز الحكيم معجزة كبرى للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في العام الحادي عشر من البعثة المشرفة ألا وهي معجزة الإسراء والمعراج على نحو ما فصلتها كتب السيرة.

ولعمري لقد كانت تلك المعجزة الهائلة قمة اللطائف الربانية التي تجلى بها رب العباد على نبيه الكريم، ذلك أنها لم تكن مجرد انتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومعراج إلى السماوات العلا فحسب، ولكن المعاني والأسرار والمشاهدات وبلوغ سدرة المنتهى وفرضية الصلاة، كل ذلك أعطاها بعداً أكبر من أن تكون مجرد رحلة أرضية وأخرى علوية، هي بمقاييس العقل البشري وانتصاراته العلمية في مجالات علم الفضاء واحترافه معجزة كبرى، كان النقل السريع إحدى ملامحها بما لا يمكن للعلم مهما ارتقى وتقدم أن يلاحقها، إذ انتقل الرسول من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماوات السبع وعاد إلى مكة في نفس الليلة ولم يبرد فراشه.

ثم كانت هذه المعجزة في خواتيم الفترة المكية وبعد كل المعاناة التي تعرض لها وكأنها التسرية عنه والتكريم الذي ما بعده تكريم، فقد جُمع له الأنبياء وصلى بهم إماماً وفي سدرة المنتهى عند جنة المأوى رأى من آيات ربه الكبرى.

الوقت أثمن ما نملك

إعداد أسامة الزقزوق
مصر ـ سوهاج

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يجد أنهما قد عنيا بالوقت أشد العناية، وفي مقدمة هذه العناية بيان أهميته، وأنه من أعظم النعم التي منّ الله بها على عباده، ولبيان ذلك نجد أن الله تعالى أقسم به في مطلع سور عديدة من القرآن الكريم، بأجزاء معينة منه، مثلا الليل والنهار، والفجر، والضحى، والعصر. ومن المعروف لدى المفسرين، بل وفي نظر المسلمين جميعا، أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه فما ذلك إلا ليلفت الأنظار إليه، وينبههم لجليل منفعته وعظيم آثاره. وتؤكد السنة النبوية قيمة الوقت، وتقرر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله عز وجل يوم القيامة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لن تزول قدم عبد حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به".

وهكذا يسأل الإنسان عن عمره بعامة، وعن شبابه بخاصة، والشباب جزء من العمر، ولكن له قيمة متميزة لكونه سن النشاط والعطاء والحيوية المتدفقة [1].

مميزات الوقت

وللوقت ميزات يتميز بها، يجب علينا أن نذكرها حتى يمكن إدراكها، فهو سريع الانقضاء، يمر مر السحاب، ويجري جري الريح، واعلم أن ما مضى من الوقت لا يعود، وهذه ميزة أخرى من ميزات الوقت، فكل وقت يمضي وكل ساعة تنقضي وكل لحظة تمر ليس بالإمكان استعادتها، ولا يمكن تعويضها. ولما كان الوقت سريع الانقضاء، وكان ما مضى منه لا يعود ولا يعوض بشيء كان أنفس ما يملك الإنسان، كما ترجع نفاسته إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج، فهو في الواقع رأس المال الحقيقي للإنسان فرداً أو مجتمعاً.

السؤال الصعب

ماذا لو إنسان ما علم أن أمامه ستة أشهر أو أقل أو أكثر سوف يحياها على كوكب الأرض، ماذا عساه أن يفعل في هذه الفترة؟

الإجابة بشفافية عن هذا السؤال ستضيء لك حياتك وخاصة الجانب المظلم منها، فالمسلم الحقيقي سوف يجتهد في الطاعة وفي القرب من الله عز وجل رجاء جنته ومخافة ناره، وربما يقوم بأفعال خير لم يكن يقوم بها من قبل، كسداد دين كان يماطل فيه، وكزيارة مريض، وكإنهاء خصومة كانت قائمة بينه وبين صلة رحمه أو أحد أقاربه أو جيرانه، أو ربما وضع وديعة في أحد البنوك الإسلامية كفالة ليتيم، وغيرها من أعمال البر والخير يرضي الله بها عنه، أما غير المسلم فربما يختلف الأمر لديه، فربما يذهب إلى سوق المتعة

ليأخذ منه ما ظن أنه فاته في حياته الماضية من ملذات وشهوات. إذن عامل الوقت يختلف فهمه وإدراكه من شخص لشخص، ومن عقيدة إلى أخرى [٢].

إضاعة الوقت

الوقت هو أثمن ما نملكه في الحياة، بيد أننا نتفنن في إضاعته وقتله، والتفريط فيه غير عابئين بأننا في حقيقة الأمر نقتل أنفسنا، فالوقت هو الحياة كما يقولون. الوقت أثمن ما تملك وأعظم ما يمكن استثماره، فهو حياتك ودنياك، وهو حاضرك ومستقبلك، إن تضيعه يعني ببساطة أن تضيع حياتك، وتفرط في أحلامك وأمانيك. ففي الحديث الشريف "يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني لأني لا أعود إلى يوم القيامة". فإضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة. والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها (ابن القيم رحمه الله).

فيجب عليك أخي الحبيب أن تتعامل مع وقتك بجدية وحزم وقوة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه أنقص فيه من عمري.

فالإنسان يتقلب في نعمة الوقت وهو لا يدري، ففي الحديث "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

وهناك ثمة خرافة منتشرة بين الناس، وهي "ليس لدي وقت" فنجد من يقول: يوما ما سأجد متسعا من الوقت لإنجاز ما تأخر، يوما ما سأجد وقتا يسمح لي بأخذ إجازة، أو لقضاء وقت أطول مع عائلتي، أو قراءة كتاب، أو ممارسة رياضة، بل هناك من يقول إن 24 ساعة ليست كافية لعمل ما أود عمله في اليوم الواحد، فهل هناك بالفعل مشكلة في عدد ساعات اليوم، وأن المتاح من الوقت لا يكفي لإنجاز

المهـــام الملقاة على عاتقنا، أم أن المشـــكلة تكمن في عدم تنظيمنا للوقت، والتعامل معه بشـــكل احترافي؟

على الرغم من الأشـــياء المسلم بها من أن كل فرد يملك 24 ساعة في اليوم، الغني والفقير، السعيد والتعيس، رجل الأعمال وجامـــع القمامة، وإن كنا نشـــترك جميعا في مقدار ما نملك من الوقت، إلا أننا نختلف وبشدة عن الكيفية التي ننفق بها هذا الوقت. ففي بحث قام به خبير في إدارة الوقت وجد أن الشخص العادي يقضي من عمره في الأنشطة اليومية الآتي :

إذا كان متوسط عمر الإنسان ستين عاماً

النشاط	الوقت الكلي
ربط الأحذية	8 أيام
انتظار إشارات المرور	شهر
الوقت الذي تقضيه عند الحلاق	شهر
ركوب المصاعد في المدن الكبرى	3 شهور
تنظيف الأسنان بالفرشاة	3 شهور
انتظار الحافلات في المدن	5 شهور
الوقت الذي نقضيه في الحمام	6 شهور
قراءة الكتب	سنتان
وقت الأكل	4 سنوات
اكتساب الرزق	9 سنوات
النوم	20 سنة

ونخرج من هذه الإحصائية وهـــذا البحث بأن المرء يقضـــي 4 دقائق فقـــط في التحدث مع شـــريك حياته، ونصف دقيقة فقط في التحدث مع الأبناء. وبناء على هذه الإحصائية نقول إن الشخص الذي يصل عمره إلى 80 عاما سيقضي 240 ساعة، أي 10 أيام فقط، في الحديث مع أبنائه.

والسؤال المهم ما المغزى من هذه الإحصائية؟ فما أود قوله والتأكيد عليه هو أن مشكلتنا الأساسية ليســـت في عدم وجود وقت كاف لتحقيق ما نريد فعله، وإنما في عدم استغلالنا الوقت بشكل أمثل وصحيح لعمل ما يجب عمله.

إن التحرر من خرافـــة وجود الوقت الكافي هو أولى المحطـــات التي تنطلـــق منها إلى حيـــاة منظمة، واســـتغلال أمثل للوقـــت وللحياة بشـــكل عام، فالوقت كالحديد، بقـــدر ما تبذل فيه من جهد في إدارته وتنظيمه واستغلاله، بقدر ما تزداد قيمته [٣].

ما هي قيمة قضيب من الحديد؟

قضيب خام من الحديد يساوي 5 دولارات

قضيب صنع على شـــكل نعل حصان يساوي 11 دولاراً

قضيب صنع على شكل إبر يساوي 355 دولارا

قضيب صنع على شـــكل زنبركات ساعات يساوي 250 ألف دولار

إن المهام العظام يمكن إنجازها حين يستغل الإنسان وقتـــه بكفـــاءة، وإن مقيـــاس تقـــدم الأمم وازدهار حضارتها ونهضتها هو حســـن استغلالها لوقت أفرادها وإدارتها له. كما هو معلوم للجميع إن الدول المتقدمـــة أفضل إدارة للوقت من الـــدول النامية، ففي إحصائية حدثت أخيرا وجد أن إنتاجية العامل الأمريكي أو الياباني تزيد كثيرا عن إنتاجية العامل في الدول النامية التي تبلـــغ في آخر الإحصائيات 36 دقيقة في اليوم [٤].

هوامش

١- انظر كتاب إدارة الوقت للدكتور إبراهيم الفقي، دار إبداع للإعلام للنشر عام 3009

٢- السليق ص 24

٣- نفسه ص25/26

٤- السابق27/28

هل يمكن تصنيع الفيروس؟

د. يوسف أبو بكر المدني

في غضون اندلاع الفيروس التاجي المستجد في أقطار العالم تصاعد جدل واسع في هذا الصدد حتى اتهم البعض الصين بتصنيع وتطوير إحدى سلالات وباء متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الذي نشأ في الصين عام ٢٠٠٣، وتصديره للعالم، فيما اتهم صينيون الولايات المتحدة بتصنيع الفيروس التاجي الجديد كالسلاح الحيوي.

ولكن الدراسة التي نشرتها مجلة "نيتشر" العلمية، وشارك فيها باحثون من جامعات أدنبرة وكولومبيا وسيدني وتولين، تدل على أنها لم تجد أي دليل على أن الفيروس تم صنعه في مختبر بالهندسة الجينية. وقال كريستيان أندرسن، الأستاذ المساعد في علم المناعة والأحياء الدقيقة وأحد مؤلفي الورقة البحثية، إنه "من خلال مقارنة بيانات تسلسل الجينوم المتاحة لسلالات الفيروس التاجي المعروفة، يمكننا أن نجزم بأن سارس كوف٢ (كورونا المستجد) نشأ من خلال الطبيعة".

وتقول الدراسة إن العلماء الصينيين، وبعد وقت قصير من بدء انتشار الوباء، قاموا بتتبع تسلسل جينوم الفيروس وأتاحوا البيانات للباحثين في جميع أنحاء العالم. واستخدم الباحثون المشاركون في الدراسة من جامعات ومعاهد بحثية مختلفة البيانات لاستكشاف أصل ومنشأ الفيروس من خلال التركيز على سيناريوهات عدة.

وبناء على تحليل النموذج الجيني للبروتين الخاص بفيروس كورونا المستجد، استنتج الباحثون أنه جاء نتيجة للتطور الطبيعي وليس نتاج هندسة وراثية أو معملية. ويلفت رئيس قسم الأوبئة في "ويلكوم ترست" ومقرها المملكة المتحدة الدكتور جوزي غولدنغ، إلى أن النتائج التي توصل إليها أندرسون وزملاؤه "ذات أهمية حاسمة في تقديم وجهة نظر مبنية على الأدلة ضد الشائعات التي تم تداولها حول أصل هذا الفيروس حتى أنها تنهي أي تكهنات بشأن الهندسة الوراثية المتعمدة.

وهل يمكن تصنيع الفيروس في المختبر؟ ولكي نجد جوابا مقنعا لهذا السؤال علينا أن ندرس طبيعة الفيروس بتحليل البيانات المسجلة في الكتب العلمية.

نشأة الفيروس

فيروس كلمة لاتينية معناها السم، وهو عامل مرض صغير لا يمكنه التكاثر إلا في داخل الخلايا الحية الأخرى، وشكله صغير جدا حتى أنه لا يمكن مشاهدته إلا بالمجهر الإلكتروني. ويصيب جميع أنواع الكائنات الحية من الحيوانات والنباتات والبكتيريا والجراثيم العتيقة، حتى إنه موجود تقريبا في كل النظم الإيكولوجية على الأرض. على الرغم من أن هناك احتمالا لوجود الملايين من الأنواع المختلفة لم يتم الوصول بالتفصيل إلى الآن إلا لحوالي خمسة آلاف من الفيروسات.

تتكون الفيروسات من جزأين أو ثلاثة؛ كل الفيروسات لها مورثات مكونة من الدنا والرنا الجزئيات الطويلة التي تحمل المعلومات الجينية، كما لها غلاف بروتيني يحمي هذه الجينات، وبعضها محاطة بغلاف دهني يحيط بها عندما تكون خارج الخلية المضيفة. ومن العجيب أن الفيروس يعيد برمجة خليته المضيفة لإنتاج فيروسات جديدة، لذا لا يوجد أي تأثير للمضادات الحيوية على الفيروسات. ولم يتم الحصول على الصور الأولى للفيروسات إلا بعد اختراع المجهر الإلكتروني في عام ١٩٣١م.

قد تكون الفيروسات موجودة منذ تطور الخلايا الحية الأولى، فهي توجد حيث وجدت الحياة في الأرض، إلا أن أصلها غير واضح لأنها لم تترك حفريات، لذلك فالتقنيات الجزيئية كانت وسيلة مفيدة للغاية للتحقيق في كيفية نشوئها. هذه التقنيات تعتمد على توافر الدنا أو الرنا الفيروسي القديم، ولكن لسوء الحظ فإن معظم الفيروسات التي تم حفظها وتخزينها في المختبرات تعود لأقل من ٩٠ عاما.

هناك ثلاث فرضيات رئيسية تحاول تفسير نشأة الفيروسات:

الأولى فرضية التقهقر، وتنص على أنه ربما كانت الفيروسات خلايا صغيرة تتطفل على الخلايا الكبيرة، أي إن الفيروسات نشأت نتيجة تطور رجعي لكائنات دقيقة كانت تعيش معيشة حرة.

والثانية فرضية المنشأ الخلوي، وتنص على أن بعض الفيروسات قد تطورت من أجزاء ناجية من الدنا أو الرنا لجينات وراثية لكائنات أكبر.

والثالثة فرضية التطور المشترك، وتنص على أنه

قد تكون الفيروسات تطورت من جزيئات معقدة من البروتين والأحماض النووية في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه للمرة الأولى الخلايا على سطح الأرض واعتمدت على الحياة الخلوية لعدة ملايين من السنين.

هذه الفرضيات كلها تكهنات علمية لا توافق موافقة تامة لصفات جميع الفيروسات، لأن العلماء لم يتمكنوا أن يفسروا هذه الفرضيات بتفسير جامع مانع مقنع للعقول. كما أن هذه الفرضيات تدل على أن العلم الحديث لم يصل حتى الآن إلى معرفة بينة يقينية عن الفيروسات، فكيف يمكن العلم أن يطور الفيروس في المختبر في غياب المعلومات عن أصله ونشأته.

سر الحياة

على الرغم من كثرة أنواع الفيروسات وأخطارها لقد أثبت العلم الحديث أنها تمتلك مورثات جينية من الرنا والدنا أو أحدهما أو كلاهما مثل سائر الكائنات الحية. وإذا أمعنا النظر إلى هذه المورثات نرى أنها تحتوي على مواد كيماوية مثل الأحماض النووية والمواد البروتينية وما إليها من الكيماويات، هذه المواد الكيماوية وافرة في الطبيعة ولكن العلم الحديث لم يستطع حتى الآن أن يصنع خلية حية بواسطتها، حتى إن العلماء عاجزون عن تفسير ظاهرة الحياة الناتجة من الخليات. وأما القرآن الكريم فيبين لنا أن الله تعالى هو الذي يمنح الحياة للخلية بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (سورة الأنعام ٩٥).

يقول الله تعالى في هذه الآية إنه يخرج الحي من الميت، أي يخلق الخلية الحية المعتبرة البنية الأصلية للحياة من المواد الكيماوية الميتة المحتوية في الخلية، كما إنه يخرج الميت من الحي بتحويله إلى مواد كيماوية ميتة. ونستنبط من الآية ذلكم الله فأنى تؤفكون أنه لا يقدر أحد غيره لصنع المخلوقات الحية.

وعندما نسمع طرح التهم على الصعيد الدولي حول انبثاق الفيروس التاجي كما قال ترامب إنه محفوظ في مختبر بالصين، وحسب رأي بوتين إنه سلاح حيوي استخدمته الولايات المتحدة، كما افترت بعض الدول بأنه مؤامرة ضد تطورها، ناهيك عن تخبط العلم الحديث في الظلمات بصدد نشأة الفيروس، يظهر أمامنا قول الله تعالى ﴿هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (لقمان ١١). ومن دون أدنى شك نمكن أن نقول إن الفيروس هو خلق الله ولم يتمكن الإنسان من أن يخلق أدنى جزء من الكائنات الحية، فضلا عن أن يصنع الفيروس. ويلقي الضوء إلى هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل ٦٤). نرى أن الذين يدعون أن الفيروس مصنوع في المختبر أو يفترون بأنه سلاح حيوي لا يأتون بدليل علمي لدعواهم، هذا ما قال الله ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

بقلم: فهد بن إبراهيم

لا جرم أن الله سبحانه و تعالى هو الرحمن الرحيم الذي يرحم من في الأرض ومن في السماء. وهو الذي خلق الرحمة وألقى المودة في الأفئدة ليتراحم الناس فيما بينهم. وإن الرحمة هي أن تشعر بأنك ترق لكل المخلوقات من أوج السماء إلى عمق البحار وأن تطلب من الله سبحانه وتعالى جل وعلا أن يجعلك بسمة حنان على شفاه عباده وتكون سببا في غبطتهم وسعادتهم وأن تسامح من أساء إليك. ولا تكتفي بذلك بل تتحمل الأذى منهم وأن تطعم الجائع وتكسي العاري وتعزي المحزون وتفرج المكروب وأن تتذكر دائما أننا جميعا بشر. وليس معنى أن يخطئ في حقك أحد أن تنتقم منه أو تبادله بنفس الإساءة .فليس هذا من الرحمة ولكن ما تشعر به ألم عند جرح لا تتمناه حتى لمن كان سببا في جرحك.

نحن أمة نبي الرحمة الذي بُعث رحمة للعالمين وراحة للعاشقين وشمسا للعارفين ومصباحاً للمنعزلين فاجعل خطاك على نهج الحبيب وعلى طريق الصادق وعلى مسلك المصدوق وإليكم أفضل أبواب الرحمة وأعظم مدخل المودة وأشرف سدة الرأفة فلندخل منها لعلنا نفوز بلمسات رحمة الله ونظفر بمسحات نعمة الله.

إن الرحمة هي أن تصل الرحم...وتغيث الملهوف.... وتمد يد العون والإسعاف لمن يحتاج....وأن ترحم المسكين والضعيف وابن السبيل والأرملة.... وأن تتحسس بحوائج الناس حتى ولو لم يطرق بابك أحد ولم يقرع على مسمعك شيء وأن تبادر إلى فعل الخيرات وترك المنكرات دون انتظار لمقابل ولا جزاء . واعلموا أحبائي أن الله لايضيع أجورنا عنده فهو سبحانه الديان الشكور والديان هو الذي لا يضيع عملا تفعله ولا يترك صافرا ما تزاوله. وإذا لا بد أن يجزيك عنك خيرا ويدفع عنك شرا. فإن كان خيرا بخير أو كان شرا بشر. لو فعلت خيرا لا بد أن يرد إليك في حياتك قبل مماتك لأن الديان موجود لن يتخلى عنك أبدا ولا تتخلى منه وفعل الخير القليل الذي ستفعله سيعود إليك حتما في الدنيا بأضعاف مضاعفة قبل أن يدخر لك في الآخرة.

هذا هو القانون يقول حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة". أما الشكور فهو سبحانه وتعالى يجازي على العمل القليل الجزاء الكثير. فالرحمة خلق رباني يعامل الله بها عباده حتى المسيئين منهم . وهو الذي أغراهم باللجوء إلى خيمة رحمته حينما يخطئون أو يذنبون أو يسرفون على أنفسهم أن يهربوا منه إليه.

الرحمة هي أجمل تعبير عن كمال إيمانك وأحسن أسلوب عن حسن إسلامك. افعل كما كان يفعل الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون. أيها الصديق كن رحيما، أشعر قلبك بالرحمة ليكن قلبك الرحمة بنفسها . أملأه بها لا تبخل على من حولك وعندك فالرحمة كنز من الكنوز الربانية. من وجده فاز في الدنيا بحب خلق الله وفي الآخرة برحمة الله "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" ألم تسعد حينما تكون سببا في إسعاد الناس.

من الفن الإسلامي